-!- بسم الله الرحمن الرحيم -!-

المستوى الثاني

مناهج الاستدلال ومسالك الفهم

المستوى الثاني

- المادة الأولى: المعرفة في الإسلام
- المادة الثانية: مصادر التلقي الشرعية
- المادة الثالثة: منهج الاستدلال عند أهل السنة والجماعة
- المادة الرابعة: التسليم للنص الشرعي ومزالق هدر النصوص

-!- المادة الأولى -!-

المعرفة في الإسلام

- مدخل لفهم نظرية المعرفة — أ. عبد الله العجيري
- تمهيد لموضوع المعرفة في الإسلام — د. عبد الله الغربي
- النزعة العلموية — د. سلطان العميري
- العالمية عرض ونقد — د. سامي عامري — مقرر إثرائي

-!- الأحد 02 رمضان 1438 هـ -!-

-!- مدخل لفهم نظرية المعرفة -!-

-أ. عبد الله العجيري-

* من المسائل المهمة التي تشكل مدخل مهم لفهم نظرية المعرفة هي: أن كثيرا ممن يقبل على القضايا المعرفية التفصيلية ينطلق من رؤى معرفية مسبقة ومنهجيات معرفية خاصة

Scanned by CamScanner

- كثير من الخلافات التي نظن أنها بين البشر في قضايا معرفية، جزء كبير منها يعود إلى التباينات المنهجية في قضية المعرفة

- ليس بالضرورة أن يكون العامل المعرفة هو المستقل لهوية الإنسان، قد تكون العصبية، الجسد، الجاه...

- مما يحدد هوية الإنسان المعرفية، المنهجيات التي يبني فيها رؤيته الخاصة

- كثير من الخلافات تعود إلى قضية المعرفة، مثل: مسألة رؤية الله عز وجل في الدار الآخرة والمكافئة بين أهل السنة والجماعة والمعتزلة ← أطال الأستاذ النفس في هذه القضية إلى دقيقة: "00:08"

- الذي ولّد هذا اليوم الشاسع بين أهل السنة والمعتزلة في هذه القضية: منهجية في المعرفة هي التي ولّدت هذه القضية: توازنات النقل والعقل...

- تكثر فجوة الخلافات كلما اتسعت الدائرة وانتقلنا إلى خارج الإسلام

- لماذا نعالج نظرية المعرفة:

- كثير من التصورات الفكرية والثقافية عائدة إلى تحيزات فكرية مولّدة من خلال منهجيات خاصة في التعامل مع مصادر التلقي ومنهجيات الاستدلال

- تعلّم الأستاذ من "زيد هويل" وقوله بالكون الثابت المستقر، الذي حرّك هذه القضية هو منافرة القرينة الأخرى، وهذا التنافر هو وليد رؤى معرفية وعقدية مسبقة.

- التحيز المعرفي لا يلزم بالضرورة أن تكون موطن من مواطن الذم: المسلم لما يباشر النص الديني يقف منها موقف التحيز المضاد، وهذا التحيز المضاد مبني على منهجية علمية.

- لما درس المجال الفلسفي قديما وحديثا، يجد أن أحد القضايا الرئيسية داخل البحث الفلسفي ما يتعلق بنظرية المعرفة

- من المحاولات الإنسانية في الإطار الفلسفي التي تكاملت إلى حد ما: المنطق الأرسطي

- الملاحظ من القرن 17م إلى العصر الحديث أن قضية المعرفة هي أم القضايا.

- يمكن القول بأن الفلسفة الحديثة اليوم هي بحث في نظرية المعرفة

Scanned by CamScanner

- أوّل المحاولات لطرح نظرية المعرفة كفرع فلسفي مستقل عن الجنس الفلسفي لعام: كتاب أو مقالة بعنوان: "مقالة في الذهن البشري" صدر عام 1960م لـ: جون لوك. الفيلسوف الليبرالي المشهور من الشخصيات المهمة لدارس نظرية المعرفة "رونيه ديكارت" وله أبحاث متعددة في هذا ومن المسائل المشهورة التي قدّمها "نظرية المعرفة"

- أول ظهور لمصطلح نظرية المعرفة كان عام 1832م على يد "راين هاولد" في كتابه: "ملكة المعرفة الإنسانية والجهد الميتافيزيقا".

- تناولت نظرية المعرفة على يد الفيلسوف الألماني "إيمانويل كانت"

- ظهر مصطلح التعريف بنظرية المعرفة "الابستمولوجيا". وأول من استخدمه كان "جيمس فريدريك فيريه" في كتابه "أسس الميتافيزيقا" وميز بين علم الابستمولوجيا (علم المعرفة) وعلم الأنطولوجيا (علم الوجود)

- توجد مدرستين أمثلتا مفهوم الابستمولوجيا:

P: المدرسة البريطانية: لا تفرق بين الابستمولوجيا ونظرية المعرفة. وهو الأكثر شيوعًا.

ب: المدرسية الفرنسية: يفرقون بينهما.

- من الأمور الملاحظة في تعريف "نظرية المعرفة" هو غيبة الحضور الإسلامي من الجدليات المتعلقة بنظرية المعرفة.

"يقول وليام كريغ: "لم يصل هذا الدليل على مستوى من النضج كما وصل على يد علماء الإسلام. ولا يوجد مرحلة تاريخية تُقدّم لتغافل عنها مثل هذه المرحلة البارزة"

- لو فتح المسلم أي مدونة كلامية لمتكلمي الإسلام: أبو منصور البغدادي - فخر الدين الرازي: أيضا الأصوليون سيجد جدل واسع في علم المعرفة وفروعها.

- أورد الأستاذ نماذج من جهود علماء الإسلام في نظرية المعرفة إلى غاية الدقيقة 28:00

Scanned by CamScanner

لم توجد كثير من العلوم التي تفتح الأبواب لفهم نظرية المعرفة مثل "Neuroscience" علم الأعصاب وعلم وظائف الدماغ وعلم النفس التجريبي.

مفهوم نظرية المعرفة:

- جاء في كتاب المعجم الفلسفي لجميل صليبا: "بحث في طبيعة المعرفة وأصلها وقيمتها وشائلها وحدودها" وهذا تعريف بالمكونات الذاتية لهذا العلم.

- نظرية المعرفة علم يسعى للجواب على: 1: هل بالإمكان إدراك الحقائق. 2: هل بالإمكان الثقة بما ندركه.

3: ما حدود الإدراك الانساني البشري 4: ما مصدر هذا الإدراك 5: ما حقيقة الإدراك وحقيقة العالم والمعرفة.

السؤالات المركزية في نظرية المعرفة:

- حسب د: زكي محدد مسائل نظرية المعرفة تدور حول 3 نقاط مركزية هي:

أ: طبيعة المعرفة ب: مصادر المعرفة ج: إمكانية المعرفة.

لم وبعضهم يزيد مسميين آخرين: 1: حدود المعرفة 2: صدقية المعرفة.

مفهوم العلم والمعرفة:

- المعرفة لغة ضد الإنكار. وأشهر التعريفات في الإطار الكلامي والأصولي العلم أو المعرفة: إدراك الشيء على ما هو عليه.

- هناك جدل كبير في التفريق بين المعرفة والعلم؟ ومن أفضل من ناقش هذه القضية الإمام ابن القيم في مدارج السالكين.

- المعرفة لها ارتباط بالصورة، وإجمالا العلم هو المعرفة.

- من أشهر تعريفات المعرفة: "إيمان أو تصديق صحيح مطابق للواقع مبرهن"

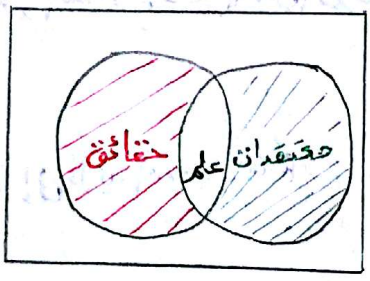

- رسم توضيحي للتعريف الأخير

- المعتقدات: المتعلقة بالانسان: وهي على نوعين: مبرهنة وغير مبرهنة

- الحقائق: المتعلقة بالخارج والحقائق هي ما توجد لحقا إطار الاعتقاد وحقائق خارج إطار الاعتقاد.

لم الحقائق المعتقدة المصدق بها: إما أن تكون البرهنة عليها منعدمة ليست مبرهن عليها أصلا - مبرهن عليها.

لم الحقائق المعتقدة المصدق بها المبرهن عليها ← العلم.

Scanned by CamScanner

*ماهي طبيعة المعرفة؟

لـ هذا السؤال يحيلنا إلى مناقشة قضية العلاقة والعلاقة بين الذات المدركة والذات المدركة.

لـ مثلا: الإنسان: ذات مدركة - الكتاب: ذات مدركة ← ماهي العلاقة بين الإنسان والكتاب؟

لـ توجد 3 اتجاهات مركزية في تحديد طبيعة المعرفة وماهي المعرفة التي تنشأ في النفس البشرية الإنسانية خلال مطالعته للعالم الخارجي.

لـ الاتجاه الواقعي:

لـ القضية المركزية الكبرى التي يؤمنون بها أنه ثمة تحقق موضوعي للعالم الخارجي.

لـ معناه: مثلا: الطاولة لها هو وجود حقيقي بغض النظر عن وجود الذات المدركة (الإنسان) أو عدم وجودها.

أي بالإجمال: الكون له تحقق حقيقي موجود بغض النظر عن الوجود البشري من عدمه

لـ من القضايا المركزية: الذات المدركة لها صلة وعلاقة في إدراك العالم الخارجي لكن تنطلق من رؤيا أن العالم الخارجي هو الذي يولد هذه المعرفة المتحصلة عندي. ومعرفتي تبع للعالم الخارجي وليس العكس.

لـ اتجاهات المدرسة الواقعية:

← الواقعية الساذجة (البسيطة):

لـ تمثل الموقف البشري العفوي من هذه القضية وهو الموقف الذي يقتنع أكثر الناس.

لـ وهذا الموقف هو: أن الإدراك الحسي للإنسان للعالم الخارجي، إدراك مطابق للماهيات الخارجية

لـ إدراك العالم الخارجي يتم بوساطة وعفوية والحواس نواقل معرفية تنقل للإنسان المعطيات الخارجية.

← الواقعية النقدية:

لـ فكرتها أنها ترفض الواقعية الساذجة، لا يمكن أن نتصل بشكل مباشر إلى تلقي العالم الخارجي بواسطة النواقل الحسية. والذي يمارس عملية النقد هو العقل.

لـ انتقل أصحاب هذه الرؤية من نظرية المعرفة المباشرة المتلقاة عن طريق الحس إلى نوع من أنواع الاستدلال للتحصيل المعرفي:

← المعرفة في الاتجاه الواقعي: صورة ذهنية مطابقة للعالم الخارجي، وهي تعبر عن الموقف الفطري والعفوي إلى حدما.

Scanned by CamScanner

لـ الإتجاه البراغماتي (العملي)

لـ معيار المعرفة في هذا الإتجاه وحيده هو الفائدة والثمرة السلوكية على هذا المحصل المعرفي

- مثال:

لـ لضوء الأحمر في إشارة المرور:

← الواقعي: يتخلق في ذهني صورة لضوء أحمر مطابق لما أشاهده في الخارج من ضوء أحمر.

← البراغماتي: المعرفة في هذه الحالة: "قف"

لـ إشكاليات في ضوء الاتجاه البراغماتي:

← قضية إمكان إجتماع النقيضين: مثلا: إعتقاد قضية يولد ثمرة وإعتقاد نقيضها أيضا يولد ثمرة

عند البراغماتيين يقولون: يمكن أن نعتقد هذا ونعتقد هذا.

← الصورة الصحيحة لا تكون صحيحة إلا إذا ترتب عليها سلوك عملي.

لـ بواعث الإتجاه البراغماتي:

← يقولون: المعرفة الانسانية البشرية إنما هي متولدة من خلال ملكة الإدراك المتحصلة عند الإنسان.

وأصحاب هذا الاتجاه: الإتجاه البراوبني التطوري. أطال الأستاذ النفس في هذه القضية إلى غاية 57:00 دقيقة.

← مثلا فكرة الجاذبية هي صادقة بمقدار نفعها العملي.

← أشهر رواد هذا الإتجاه: وليام جيمس.

لـ الاتجاه المثالي:

← هو الاتجاه المخالف للإتجاه الواقعي جذريا.

← يؤمن بأن العالم الخارجي تبع لمعرفتنا به (العكس تماما عن الواقعية)

← كثير من الإتجاهات المثالية لا تؤمن بتحقق موضوعي للعالم الخارجي أصلا.

← إذات المدركة هي التي تولد إذات المدركة

لـ بواعث الإتجاه المثالي:

← يقولون: في الحقيقة عند ما ندرك العالم الخارجي لا ندرك العالم الخارجي إنما ندرك تصور للعالم الخارجي الموجود في أذهاننا.

← إذا: كل إنسان يخلق عالمه الخاص.

← أشهر ممثلي هذا الإتجاه: أحد الفلاسفة النصارى المتدينين: باركلي.

Scanned by CamScanner

ما هي مصادر المعرفة:

١- الاتجاه التجريبي (الحسي):

- حصر المعرفة الإنسانية في الخبرة الحسية. يترتب على هذا أن المعرفة عند أصحاب هذا المنهج بعدية أي لا يستطيع الإنسان أن يدرك شيئا قبل أن يتفاعل معه حسيا.
- تبنى أصحاب هذا الاتجاه في ضوء حصر المعرفة في الخبرة الحسية، النقد للمبادئ العقلية الضرورية.
- حسب جون لوك: الإنسان يولد صفحة بيضاء، وهذه الصفحة البيضاء تملأ من خلال التجربة الحسية.

٢- الاتجاه العقلي:

- يقولون أن منبع المعرفة اليقينية هو العقل وحده، وهم لا ينكرون أن الحواس طريق لتحصيل الإدراك ولكن يناز عون في إمكانية تحصيل المعرفة اليقينية عن طريق الحواس (حسبهم: ممكن أن تخدعنا الحواس) مثلا: الأحول يرى الشيء شيئين و لمس تفصيلة الشمس باليد و غيرها. (كتاب: كيف تخدع البصر)

٣- الاتجاه النقدي:

- يحاول التوفيق بين المعرفتين: المعرفة عن طريق الحاسة، المعرفة عن طريق العقل. (الحواس والعقل لهم دور في المعرفة)
- أشهر رواده: "إيمانويل كانت"
- الجمع بين الاتجاهين لا يعني - حسب كانت - اعترافه بأن الحواس مصدر للتلقي المعرفي والعقل كمصدر للتلقي المعرفي و إنما هو عبارة عن تفاعل بين المصدرين
- طبيعة هذا التفاعل هو: أن مهمة العقل في التفاعل الحسي عبر قوالب عقلية. وفي هذه القوالب ترتب المتلقيات الحسية و من هذه القوالب: الزمان - المكان - الحسية....
- لا يعني بالضرورة أن هذا القالب العقلي له وجود في الخارج مثل الزمان والمكان.
- مصدر المعرفة حسب "كانت": تفاعل الحواس مع العقل".

٤- الاتجاه الحدسي:

- يعبر عنهم بالاتجاه الصوفي. الحدس: معنى يتقدح في الذهن غير خاضع لقانون الاستدلال.
- يقول هنري برجسون: "عرفان من نوع خاص شبيه بعرفان الغريزة ينقلون لباطن الشيء"
- اتفقوا على فكرتين:
  1. الحقيقة المدركة بالحس لا يمكن التعبير عنها بالألفاظ

Scanned by CamScanner

إمكان المعرفة وحدودها:

١- الاتجاه الشكي:

- ينكر إمكانية المعرفة اليقينية (ينكر القيمة الموضوعية للمعرفة: ليس هناك معرفة يقينية ممكن كلنا أن نتوصل إليها أيها)
- أكبر ممثل تأريخي لهذا الاتجاه: "السوفسطائية" (الحكمة المموهة)
- السوفسطائية على أنواع:

أ- السوفسطائية اللاأدرية: لما تطرح قضية ما: هل يوجد كتاب أمامك يجيب: لا أدري هل أمامي أم لا يوجد (تساوي الموقف من الطرفين)

ب- السوفسطائية العندية: لما نطرح قضية: أمامك كتاب: يقول لهم أمامك كتاب ولكن لا يلزم أن يكون نفس التصور عندي. المعرفة عندهم: تجربة إنسانية نسبية ذاتية إنفعالية.

ج- السوفسطائية العنادية: تقيم الشكيك والمعارضة والعناد مع أي قضية تطرح.

٢- الاتجاه السوفسطائي نشأت في "أثينا"

٣- إنقاذها المدرسة الشكية:

أ- الشك المذهبي:

- رؤية تنطلق من الشك ابتداءً به لتنتهي إلى الشك بـ الله: يؤمنون بعدم إمكانية تحصيل معرفة فتحليلية يقينية.
- المحاورة مع السوفسطائيين تكون بالاستخراج المكون الخطأ.

ب- الشك المنهجي:

- يتخذ من الشك وسيلة للتحصيل المعرفي وليس غاية للمعرفة. (يبتدؤون من الشك وينتهون باليقين)
- عمليا ينتهون إلى يقينيات المعرفة.
- أشهر روادهم: أبو حامد الغزالي رحمه الله. ولكن حسبة أبو حامد على اتجاه الشك المنهجي غير متفق عليها.
- أشهر الذي هذا: "رونيه ديكارت". ويقولون أنه انتفع من الغزالي رحمه الله.

Scanned by CamScanner

* ماهو الموقف الشرعي من الشك المنهجي:

- الشك المنهجي لبس محمود في المعرفة الإنسانية.
- هل الشك المنهجي طريق للمعرفة الإنسانية؟

الجواب:

لا بد من تفصيل

أ- إذا كان الشك المنهجي يصل إلى المبادئ النظرية فنقول: لا (لا ينبغي أن نقف من المبادئ النظرية للتشكيك)

ب- في المعارف النظرية:

أ- طالع كلام شيخ الإسلام دقيقة: 1:53:39

ب- فحوى: هو نافي الحوار مع المتشكك هو التذكير بالمبادئ النظرية.

ج- الاتجاه الاعتقادي (اليقيني)

- يقولون بإمكان البشر للوصول على المعرفة الحقيقية اليقينية.
- يشتمل على كل أصحاب اتجاهات مصادر المعرفة. ومنطقة الخلاف بين أصحاب هذه الاتجاهات هو في حدود هذه المعرفة ضيقا واتساعا.

-> رواد الاتجاه العقلي:

يقرون بإمكانية الحصول على المعرفة الإنسانية وأنه لا حدود للمعرفة من حيث سلك الإنسان الطرق الصحيحة. ويشتمل منهجهم على عالم الطبيعة وما وراء الطبيعة.

-> رواد الاتجاه الحسي:

يؤمنون بإمكانية الحصول على اليقين من خلال التجربة الحسية، ولكن حدود ما يمكن للإنسان أن يتحصل عليه محكوم بحجم ما يستطيع الإنسان أن يتعرف عليه من العالم الخارجي

-> رواد الاتجاه النقدي:

يؤمنون بالحصول اليقيني ولكن الحدود وحدوده محكومة بالمدرك الحسي

-> رواد الاتجاه الحدسي:

يؤمنون بالحصول اليقيني وأن حدود المعرفة تفوق العقل والحس معًا، ويمكن إدراك روح الأشياء

Scanned by CamScanner

التصور الإسلامي في مجال المعرفة:

- يُلاحظ سعة التصور الإسلامي في المجال المعرفي وفي كنوع المصادر. (الكلام شيخ الإسلام "00:1:2")
- حسب شيخ الإسلام: طرق العلم ثلاث:

أ: الحس الباطن والظاهر (الحواس الخمس) والباطن: حواس الباطن مسؤولة عن إدراك الجوع - الغضب...

وهذا الحس هو الذي تعلم به الأمور الموجودة بأعيانها.

ب: الاعتبار بالنظر والقياس:

يحصل العلم به بعد العلم بالحس، فما أفاده الحس معينًا يفيده العقل والقياس كليا مطلقا.

ج: الخبر:

يتناول الكليات والمعينات والمشاهد والغائب، فهو أعم وأشمل، لكن الحس والعيان أتم وأكمل

- في القضايا المركزية دعوة القرآن والسنة إلى تحرير العقل الإنساني من قيود التقليد والبقية القائمة على الجهل
- يشير القرآن إلى مصادر المعرفة الإنسانية: السمع والبصر
- من الحقائق القرآنية: المعرفة الإنسانية معرفة مكتسبة (من جهة أن الله هو الذي أكسبها للعبد)
- المعرفة الإنسانية والعلوم نسبية إضافية حسب القرآن "وفوق كل ذي علم عليم"
- العقل في لسان الشارع يركز على 4 أمور:

-> الغريزة: التي هي الأداة التي يمارس من خلالها بطريق فعل التعقل

-> المعارف الضرورية: الإنسان مثلا يناقض العقل أي يناقض المعقولات الضرورية

-> " النظرية.

-> العمل بالعلم

- القضايا البديهية تتصف بـ: الضرورية، غير قابلة للتشكيك. الكلية: حالة ص المتواطئ عليها في كل زمان ومكان

Scanned by CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

-!- تمهيد لموضوع المعرفة في الإسلام -!-

د. عبد الله القرني.

الخميس 06 رمضان 1438هـ.

-!- التمهيد -!-

* المعرفة لغة:

له ضد الإنكار، وتعود إلى معنى السكون والطمأنينة، ويستند ذلك إلى أن ثبوت المعنى في النفس يقتضي سكونها إليه، بخلاف ما لم يثبت في النفس فإنها تنكره.

له لمادة "ع ر ف" أصلان صحيحان: 1: تتابع الشيء متصلا بعضه ببعض. 2: السكون والطمأنينة. (ابن فارس).

له هذا الأصل ينطبق على معنى العلم، من جهة أنه ثبوت المعلوم وتحققه في النفس، فمن علم بشيء فقد عرفه، ومن عرفه فقد علم به. جاء في لسان العرب: "العرفان: العلم"

له نحا بعض أهل اللغة إلى التفريق بين العلم والمعرفة، لكن على وجه لا ينافي اتفاقهما في المفهوم الإجمالي، ومنه قول أبي هلال العسكري "المعرفة أخص من العلم، لأنها علم بعين الشيء مفصلا عما سواه، والعلم يكون مجملا ومفصلا".

له يقول ابن حزم "العلم والمعرفة اسمان واقعان على معنى واحد، وهو اعتقاد الشيء على ما هو عليه وتيقنه وارتفاع الشكوك عنه".

له هذا المعنى القائم في النفس هو حقيقة ضرورية أظهر من أن تُعرَّف أو يستدل لإثباتها لأن إدراك الكليات والجزئيات متوقف على ثبوت حقيقة المعرفة في النفس ثبوتا ضروريا لا يمكن الجهل به أو الشك فيه.

له لا يمكن الشك في حقيقة المعرفة وقيامها في النفس وإن أمكن الشك في بعض المعارف الجزئية.

مجمل قول الفلاسفة المحدثين في المعرفة

- 1 الفعل العقلي الذي يتم به حصول صورة الشيء في الذهن
- 2 الفعل العقلي الذي يتم به النفوذ إلى جوهر الموضوع لتفهم حقيقته
- 3 مضمون المعرفة بالمعنى الأول
- 4 مضمون المعرفة بالمعنى الثاني

Scanned by CamScanner

له تفسير المعرفة بمضمونها تفسيرا واردا ؛ لأن المراد حقيقة المعرفة التي هي حالة للنفس تقتضي إدراك بعض المعارف الجزئية، لا ما يتضمنه ذلك الإدراك من معارف جزئية.

له نقول بأن المعرفة هي فعل عقلي فطري.

تقييد العقل العقلي

1

- تقييد العقل العقلي بأنه الذي يتم به حصول صورة الشيء في الذهن هو مقتضى التفسير المادي لطبيعة المعرفة المستند إلى أنه لا وجود إلا للواقع المحسوس، وما يقتضيه ذلك من أن التصور العقلي مجرد انعكاس للواقع الموضوعي.

2

- تقييد العقل العقلي بأنه الذي يتم به النفوذ إلى جوهر الشيء، هو مقتضى التفسير المثالي لطبيعة المعرفة والذي يستند إلى أن طبيعة موضوع المعرفة روحية لا مادية، فلا يكون بين الذات العارفة وموضوع المعرفة فرق.

* الهدف الأساس للبحث في موضوع "المعرفة في الإسلام"

تأصيل منهج الاستدلال في الإسلام، وبيان مصادر المعرفة، وحدود كل مصدر ومجالاته، والكشف عن أن هذا المنهج هو وحده الذي يكفل الاستناد إلى جميع مصادر المعرفة، وإدراك الحقيقة في جميع مجالاتها دون تناقض.

له هذا التأصيل يقتضي بالضرورة نقد المناهج المخالفة في الاستدلال، ويشمل ذلك ابتداءً تحليل منهج الإسلامي مما شابه من انحرافات المتكلمين والصوفية، كما يشمل نقد أصول المذاهب الفلسفية في هذا الباب نقدا إجماليا.

له يقوم التأصيل لهذا المنهج على أساس استقلالية منهج الاستدلال في الإسلام وتميزه عن المذاهب الفلسفية المختلفة، ويشمل ذلك جميع جوانب المعرفة في مفهومها العام، التي عليها مدار النزاع في المعرفة بين المذاهب الفلسفية، وهي ترجع في جملتها إلى ثلاثة جوانب وهي:

1

- طبيعة المعرفة وما يتعلق بالصلة بين الذات العارفة وموضوع المعرفة

2

- مصادر المعرفة وعلاقة بينها

3

- حدود المعرفة ومجالاتها المختلفة

Scanned by CamScanner

* طبيعة المعرفة في الإسلام:

لـ طبيعة المعرفة في الإسلام فإنها تقوم على أساس التمييز بين الوجود الذهني والوجود الخارجي، بحيث لا يرد الوجود الواقعي للأشياء في الخارج إلى مجرد كونها صورة كما يقول المثاليون، كما لا يرد التصور الذهني إلى مجرد كونه انعكاسًا للوجود الواقعي للأشياء في الخارج كما يقول الماديون.

لـ أساس الخطأ الذي وقع فيه أصحاب هذين الاتجاهين في الحكم على طبيعة المعرفة هو أنهم حاولوا تفسير طبيعة المعرفة وفقًا للنظر إلى حقيقة الوجود، حيث اتفقوا على ردّ أحد الوجودين إلى الآخر، ثم اختلفوا في أيهما الأصل:

لـ المثاليون ذهبوا إلى أن الوجود الذهني أو الروحي هو الأصل، وأن المادة لا تخرج في حقيقتها عن ذلك.

لـ الماديون قالوا أن الوجود المادي هو الأصل، وأن الوجود الذهني أو الروحي مجرد انعكاس له.

لـ الحاصل أن كلا الفريقين متفقان على حتمية القول بأحد هذين القولين المتناقضين.

لـ وقد بيّن "جارودي" في كتابه "النظرية المادية في المعرفة" على أن المشكلة الأساسية لكل فلسفة هي مشكلة بدئها، هل الروح أولية بالنسبة للطبيعة، أم أن الطبيعة هي العنصر الذي في المقام الأول.

لـ القول بأن تفسير طبيعة وجود المعرفة لا يتأتى إلا بالمثالية أو المادية هو مجرد دعوى بلا دليل.

لـ غاية ما استدل به أصحاب الاتجاه المثالي ليس في إنكار الوجود الواقعي للأشياء في الخارج، وإنما إثبات الوجود الروحي الذي ينكره الماديون ونفس الكلام في استدلال الماديين.

لـ وفي الأخير الوجودان متحققان بحيث لا يرد أي منهما إلى الآخر، بل هما وجودان متمايزان.

⚠ الأصل الجامع لخطأ هذين الاتجاهين في تفسير الوجود هو إنكار الخالق تعالى.!

* إنكار الاتجاه المادي للخالق:

يستند أصحاب هذا المنهج في إنكار الخالق إلى أنه لا وجود إلا للواقع المحسوس، ومن ثمّ أنكروا الحقائق الغيبية، وأنكروا إمكان الاستدلال العقلي عليها، لأن ما لا يمكن التحقق الواقعي من وجوده فلا يمكن عندهم الاستدلال على وجوده.

Scanned by CamScanner

* الرد على أصحاب الإتجاه المادي:

لا يمكن الرد على أصحاب هذا الإتجاه بإمكانية الاستدلال العقلي على ما هو غيب، من جهة دلالة الوقائع المحسوسة عليه، إستنادا إلى مبدأ السببية، القائم على أن لكل حادث سبب وإن لم نتحقق من وجوده بالإدراك الحسي.

* إنكار الإتجاه المثالي للخالق:

لا يستندون في إنكارهم للخالق عز وجل بإعتبار الوجود العادي المحسوس روحيا في حقيقته، بمعنى أنه لا يختلف في طبيعته عن أصله الروحي، و معلوم بالضرورة أنه لا يمكن إثبات وجود الله تعالى على قولهم من أنه موجود لا يمكن أن يرى ولا أن يكون في جهة، وأن العلاقة بينه وبين الوجود المادي علاقة علة بمعلول لا علاقة خالق بمخلوق وفاعل بفعل.

* الرد على أصحاب الإتجاه المثالي:

لا يثبت وجود الله تبارك وتعالى على أساس مباينة الله للمخلوقات في الذات والصفات والأفعال، وأن له وجودا متحققا، بحيث يمكن أن يُرى وأن يكون في جهة، و الله الخالق بإرادة واختيار لأي طبع ومبدرة.

لا نحا إلى التفسير المثالي للوجود "الفارابي" و"ابن سينا" حيث أنكرا أن يكون لله وجود منفصل وأنكرا إرادة واختيارية الله في إيجاد الكائنات، بل هو عندهم بطريق الفيض الضروري، وعليه فالكائنات صادرة عنه بطريق العلية الضرورية.

لا الفيض عندهم لا يكون عن إرادة وإنما يكون من جنس علاقة العلل بمعلولاتها.

لا طالع كلام شيخ الإسلام ص 22.

* مصادر المعرفة في الإسلام:

لا المعرفة في الإسلام تقوم على أساس التوافق والتكامل بين مصادرها.

لا التوافق: عدم التعارض بين المصادر التي قد تشترك في الدلالة على بعض المعارف

لا التكامل: إثبات أن لكل مصدر حدوده ومجالاته التي يختص بها، بحيث تكون دلالات المصادر المختلفة متكاملة لا متعارضة.

لا أساس عدم إمكان التعارض بين مصادر المعرفة يقوم على أنه إذا اختص أحد المصادر بالمعرفة لم يعارضه مصدر آخر لأن تلك المعرفة ليست من مجالاته المعرفية، كذلك يتحقق التكامل بين مصادر المعرفة.

Scanned by CamScanner

- إذا تعددت المصادر المدلّلة على المعرفة، فإن دلالة هذه المصادر لابد وأن تكون متوافقة غير متعارضة

- مثيل:

1- العقل قد يدلّ على ما يدل عليه الوحي، وقد يختص الوحي بالدلالة على ما لا يمكن الاستدلال عليه بالعقل، فما اختص الوحي بالدلالة عليه لابد بالتسليم به على الظاهر وعدم تقييد قبوله بالإمكان العقلي لأن الوحي معصوم من الخطأ، فما دل عليه لابد أن يكون حقًا، وما كان حقًا، لا يمكن أن يدل العقل على استحالته.

- إذا أمكن الاستدلال عليه بالعقل مع ورود الوحي به فلا يمكن أن يناقض الوحي دلالة العقل.

- دلالة العقل لا تعارض دلالة الوحي؛ لأن الدلائل القطعية لا تتعارض.

2- من أصلة التكامل وعدم التعارض: التسليم بمقتضى الدلالة العقلية ومقتضى دلالة الإدراك الحسّي دون تعارض بينهما

حدود المعرفة ومجالاتها:

- اختصاص الإسلام بالوحي المعصوم يقتضي أن يكون للمعرفة في الإسلام مجالات تختص بها، إذ لا يمكن الاستناد إلى الكتب السابقة لوقوع التحريف فيها.

- هذه المعرفة ذات المجالات المختصة بها جاءت حدود المعرفة البشرية، وذلك لأن الحسيّين يدّعون أن المعرفة اليقينية لا تكون إلا بالحس، والعقليون لا يمكنهم الاستدلال على جميع الحقائق الغيبية، لأن من الغيب ما لا يدرك إلا بالوحي.

- مما يختص الوحي بالدلالة عليه التشريع، إذ لا يمكن للبشر أن يشرعوا لأنفسهم، وإنما بالوحي، فاليقين في الغيبيات، والهداية في التشريعات مما تختص به المعرفة في الإسلام.

Scanned by CamScanner

- إشراقات القرآن الكريم -

- المنهجية العلمية -

د. سلطان الحميري

- الجمعة 07 رمضان 1438هـ -

مفهوم الاستقراء العلمي

لقد تقرر بداهة المسلم بأن العلم التجريبي قادر على الإحاطة بكل الحقائق الكونية، وليس للإنسان أن يؤسس نظمها تفسيراً وحياة، وأن العلم التجريبي يُضفي على كل المعارف الفلسفية والدينية، أيضا كل ما لا يمكن الكشف عليه بالعلم فهو ليس حقيقة أو ليس موجوداً وإن كان من أمور الدين والفلسفة أو الأخلاق، وزاد من دائرة الدعوى أولى أن نوصلها إلى أن كل ما لا يدركه العلم ولا تفسّره التجربة فهو عدم.

تعريف النزعة العلموية:

إن اتجاه فكري يقرر بأن العلم التجريبي يمكنه أن يحقق كل ما يحتاجه الإنسان، وأنه لا طريق للمعرفة إلا بالعلم التجريبي، فهي ظاهرة معرفية وجودية...

- معرفية: دعوى أن العلم يمكن أن يجرى كل ما يلزم الإنسان حصر طرق المعرفة الإنسانية في طريق واحد.

- وجودية: حصر الموجودات في الأمور التي يمكن للعلم التجريبي أن يدرسها ويحقق منها.

بوادر النزعة العلموية:

لقد بدأ اغتسال العقل الغربي بالعلم التجريبي في القرن 17، مع ظهور النظريات العلمية التي بيّنت خطأ الكنيسة في تصوراتها الكون والحياة، وكان من رواد هذه الحركة العلماء الفلك أمثال: كيبلر وجاليليو.

لقد زاد الأمر حدة وبلغ أوجه في القرن 19 وأصبح العلم المادي إلهاً ولقب هذا العصر بعبادة العلم والعلماء التجريبيون أنبياء.

لقد طالع كلام الفيلسوف "روجيه جارودي" و"هانز" و"محمد عزيز وجدي" عن حالة الافتتان بالعلم التجريبي.

لقد عبّر "إسماعيل مظهر" في توصيف العلم في العلم التجريبي أحسن تمثيل "... فكتشفان جرتهم إلى القول بأن طبيعة مغاليق الوجود فُتحت أمام العقل عن طريق العلم ... والإنسان سيصل إلى حل رموز الكون وأسراره..."

لقد تقتصر دعوات العلم التجريبي على جانب واحد من مجالات الحياة، وإنما طغت على مجالات الحياة كلها فلسفيا، دينيا، اجتماعيا....

لقد احتدم الصراع بين أنصار العلم التجريبي وأنصار المسيحية المحرفة وقامت بينهم حروب وصراعات وصفقات

Scanned by CamScanner

وصفت بأنها "المشكلة الروحية الكبرى للعالم الحديث" ونعتت بأنها" فضيحة مشحونة بالعواطف والانفعالات تاريخه
إلى درجة تجعل الطريق محفوفا بالصراع والاضطراب.

لم كانت العلاقة بين العلم والفلسفة وثيقة ولكن في ظل انتصارات العلم التجريبي الفيزيائية جاءت وضعيات
تدعوا إلى إخضاع الفلسفة للعلم وذهبوا إلى أن الفلسفة بصفة عامة والفيزياء بصفة خاصة
لا جدوى منها.

لم أقوى تيار نادى بإخضاع كل شيء للعلم حتى الفلسفة هو تيار الوضعية المنطقية وجوهر هذا التيار بأن
العلم هو المثل الأعلى للفلسفة

لم يعبر الذ الوضعية المنطقية في الفكر الغربي ويقول: "أنا مولع بالعلم كافر بهذا اللغو (الفلسفة)
لم ومازال تتصور الوضعية المنطقية عن الفلسفة باعتبارها حتى الآن عند عدد من علماء العلم، وفي هذا يقول
"ستيفن هوكنج" "ليونارد موللينوو" في آخر كتابهما "الفلسفة قد ماتت ولم تحافظ على صمودها أمام تطورات
العلم الحديث، خصوصا في مجال الفيزياء."

* تقويض الأصول المكونة للنزعة العلمية:

* أصول دعاوي التجريبيين *

①	②	③
الاستغناء بالتفسير العلمي التجريبي	الاستغناء بالمنهج العلمي التجريبي	الاقتصار على تفضيل المنهج العلمي التجريبي

الأصل الأول: الاستغناء بالتفسير العلمي:

لم تقوم حقيقته على الادعاء بأن العلم التجريبي فسر للإنسان نجاحا كبيرا من ظواهر طبيعية وكشف أسرار الكون،
وأن لديه القدرة على كشف الخوافي والأسرار.

لم أول مناد للاعتماد على التفسير العلمي مؤسس الوضعية المنطقية "أوجست كونت" حتى آل به الأمر
إلى القول بعدم الحاجة إلى وجود الله عز وجل والعياذ بالله (طالع الملامح ص 34)

لم كتب "السير جيمس فنتر" سنة 1884 عن الاستغناء بالتفسير العلمي وصرح بعدها بعدم الحاجة للدين (ص 34)

Scanned by CamScanner

له يقول "جوليان هكسلي" بأن تطور العلم التجريبي لم يترك مكانا للإيمان بالله وأن علوم المنطق والنفس فرضت نفسها كبديل، ثم ألف كتابا اسماه "الإنسان يقوم وحده" ينادي فيه صراحة إلى أن العلم يكفي الإنسان دون الإيمان بالله.

له أيضا "نيندال" و"عالم الفلك" لابلاس" إتجهوا إلى نفس الرؤية، طالع الكلام صاحب كتاب "الدين في عيون علمية" ص 35

تعقيب الأصل الأول للعلمانية:

له كلام منطوق:

في بداية النقد للنزعة العلموية لابد من التذكير بفضل العلم الحديث على حياة الإنسانية، ولا أحد يقلل من أهميته وآثاره العظيمة

له مقصد الخلاف يدور في النزعة التي تعتقد بسببية المطلقة لطبيعة العلم، والتي تنادي بإخضاع كل الظواهر للمنهج التجريبي.

له هذه الدعوى غير صحيحة وقائمة على أصل خاطئ ومجانبة للحقيقة، وقد تعرضت للانتقاد كبير ليس من أهل الأديان فقط ولكن من أصناف مختلفة من العلماء والفلاسفة والمفكرين، وتشكلت تيارات مناوئة للنزعة العلموية في الفكر الغربي في آخر القرن 19 وبداية القرن 20.

له من رموز الحرب على تيار النزعة العلموية ويعد من كبار العلماء التجريبيين وأشهرهم صيتا "هنري بوانكاريه ت 1912" والذي وصف بـ "المثل النموذجي لنقد العلم"، يتبعه في هذا الشأن "بيير دوهيم ت 1916"

له صرح علماء من المعارضين للأديان والناقدين لها بأن العلم ليس هو المصدر الوحيد للمعرفة، وأن هذا الأمر دعوى بلا برهان ولا تقوم على أساس صحيح.

له مخاوف الغرب منذ العشرينات، ومنذ العام 1970 تحديدا حول العلم زادت زيادة ضخمة وتوالت الهجمات على العلم من اليسار واليمين والمفكرين والمناوئين للمفكرين ووسائل الإعلام....

له ويصف الفيلسوف المعاصر "بوتشنسكي" أن العلم قد فقد قسما كبيرا من سلطته في أعين الفلاسفة جراء هذه الانتقادات

له مما أضعف النزعة العلموية تحكم العلم على معرفة وتفسير الكثير من أسرار الكون، وهذا ما يشرحه المؤرخ الإنجليزي "رنالد" ويقول: "... أخذ العلم يواجه مفارقات حاصلة على حدود الميتافيزيقا، حيث زاد الاهتمام بالمعقول،... وهكذا أصبح العلماء أكثر تواضعا"

Scanned by CamScanner

السبت 08 رمضان 1438هـ

*دلائل وبراهين هشاشة النزعة العلموية:

1: العجز عن الإثبات:

وذلك أن دعوى النزعة العلموية بكفاية العلم للإنسان في تفسير كل الحقائق تحتاج إلى إثبات ودليل، وهذا ما يدفع بدعاة العلم إلى إثبات دعواهم بالاعتماد على منهجين:

أ- المنهج الأول:

يعتمدون على صدق الدعوى بالعلم نفسه، وهذا خطأ منهجي كبير، وهو الاستدلال على صحة الشيء بنفسه وهذا خلل غير مقبول في قوانين العقل والمنطق، والدعوى لا تكون دليلا على صحة نفسها.

ب- المنهج الثاني:

سيستدلون على صحة دعواهم بالعلم نفسه، فإن فعلوا ذلك فقد ناقضوا أصلهم، لكون أصل رؤيتهم يقوم على أنه لا طريق لمعرفة الحقيقة إلا العلم نفسه.

← يرد إليه أن حقيقة دعواهم - النزعة العلموية - قضية كلية موجبة، ومثل هذه القضايا لا يمكن التحقق من صدقها بالتجريب والاختبار، لأن القضايا العامة المطلقة ليست قضايا تجريبية، فكيف تكون بصحتها إذن، وقد أبطلوا كل المناهج إلا المنهج التجريبي.

2: بطلان القاعدة المؤسسة:

تقوم فكرة النزعة العلموية على قواعد باطلة:

أ- القاعدة الأولى:

حصر المعرفة الإنسانية في المدركات الحسية وفقط، وهذا الأساس غير صحيح، وأقيمت الأدلة على استحالة قيام المعرفة الإنسانية على مصدر واحد ومن ضرورة قيامها على المبادئ العقلية الأولية التي لا يستغني عنها أي أحد

ب- القاعدة الثانية:

تعني أن الوجود منحصر في الوجود المادي فقط، وقد تقدم بيان خلل هذه الدعوى.

3: الاستقرار الاعتقاد بالقصور العلمي:

لم يزل أمر شائعا بين الأوساط العلمية على أن العلم الإنساني قاصر عن إدراك الوجود وكفاية الاحتياجات الإنسانية، والإجابة عن كل الأسئلة مثل قضايا الأخلاق والغايات والمعنى والتخليل..

Scanned by CamScanner

لـ خيبة أمل كبيرة أصابت لنا س بعد أن كانوا في القرن 19 يقدسون العلم أيما قداسة، وإذا بها في القرن 20 تتداعى، وأمسى العلم لا يستطيع الإجابة عن كثير من الأسئلة، وفي هذا يصرح الملحد "برتراند راسل" فيقول "العلماء يعترفون في تواضع بوجود مناطق يجد العلم نفسه عاجزا عن الوصول إليها".

لـ ظهر لتنبيه على قصور العلم التجريبي منذ القرن 18، وفي نهاية القرن 19 كتب "ليمونت" مقالا ذكر فيه أنه في الكون نسجة ألغاز، 4 منها لا سبيل للعلم التجريبي إليها طريق وهي: "ماهية المادة والقوة، وأصل الحركة، وأصل الإحساس البسيط، وحرية الإرادة"

لـ ويصرح "أينشتاين" و"السير جيمس جينز" في آخر حياته على أنه مهما بلغ العقل البشري من ذكاء فهو عاجز عن الإحاطة بالكون.

لـ ألف "سوليمان" كتابا سماه "حدود العلم" ويقر فيه بأن العلم لا يقدم سوى معرفة جزئية عن الحقيقة.

لـ طالع كلام "ستيفن هوكنج" و"وليم جيمس" فهو يؤيد ما ذكر من قبل.

لـ القصور العلم ملموس ويشمل كل الاختراعات العلمية كما أورد الفيلسوف "أوجست سبانيبية" و"شارل ريشيه"

لـ يمس القصور العلم بشكل واضح الجانب الفيزيائي كما يصرح بذلك "دي برولية" و"الفيزيائي سمولن"، وأيضا عالم الأحياء المليء بالأسرار، وأيضا عالم الكيمياء الحيوية

لـ من الأمور التي يعجز العلم التجريبي عن الوصول إليها: القضايا المتعلقة بالأخلاق والمبادئ والقيم، والغاية والتعليل ونبه إلى هذه القضية جمع هائل من العلماء مثل: "برتراند راسل" لما تحدث عن إمكانية تقسيم العالم إلى "عقل ومادة"، أيضا سؤالات الفيزيائي "إيرون شرودنغر" عن الحب والبشر والجمال والقبح، ويؤكد أستاذ الطبيعة الحيوية المعاصر "بول كلارنس ابرسولد" استحالة العلم أن يبين لنا مصدر المادة والطاقة التي استخدمت في بناء هذا الكون.

لـ يقول د. "هاني رزق" أن العلم لا يستطيع الإجابة عن 5 أسئلة جوهرية وهي: 1: تفسير وزة الفطور الموجه من الانفجار العظيم حتى ظهور الإنسان على وجه الأرض 2: تفسير حدوث الانفجار الأعظم ونشوء الكون 3: تفسير حدوث الانفجار الأعظم في نقطة تفوق درجة حرارتها درجة بلانك التي تشكل الجدار النهائي الذي لا يمكن تجاوزه فيزيائيا 4: تفسير توحد القوى الطبيعية الأربع في قوة واحدة صغيرة 5: تفسير التلازم الدخيل للثوابت الطبيعية بعضها مع بعض.

لـ طالع مقولات العلماء في هذا!

Scanned by CamScanner

موقف الفلاة في العلم من ثبوت القصور العلمي:

لقد حاول أصحاب النزعة العلموية تقديم جواب عن هذه الحقيقة التي نزلت بهم وقالوا بأنه من الخطأ الاعتقاد بأن العلم الحالي سيظل عكوفا لأيدي أمام جميع الأسئلة المطروحة، وهذا غير صحيح لعدة أمور:

1- الأمر الأول:

لقد ليس محل البحث بأن كل عالم يدركه العلم في حاضرنا فلن يصل إليه أبدا، وإنما مرادنا أنه ثمة حقائق لا تدخل ضمن نظام البحث التجريبي من حيث طبيعتها وماهيتها، كسؤال الخير والشر، وسؤال الحكمة والتعليل، وسؤال العبادة والأخلاق.

2- الأمر الثاني:

الإقرار بأن العلم لم يستوف كل ما يتطلبه الإنسان في حياته، وبأنه لم يبلغ إلى حل كل الأسئلة الجوهرية، وهذا مناقض لدعوى الاستغناء بالعلم وأنه كفى الإنسان في كل ما يحتاجه.

الأحد 09 رمضان 1438

3- الأمر الثالث:

لقد فلاة العلم يعجزون عن نتائج العلم في المستقبل، كأنها استدل على مواقفهم بالضرورة، وإذا وجهوا بالاعتراضات والإشكالات بادروا بالجواب بأنه لا خوف علينا، وهذا الجواب مبني على مقدمة غير مبرهن عليها. وفي هذا يمزح "جيمس كونانت" فيقول: "... فالمسألة على ما يظهر ليست إلا احتمالا ورجحا احتمال" ويقول أن العلم يتصف "بالطابع اللا تنبئي"

4- الأمر الرابع:

لقد إذا أردنا أن نسلك مسلك الفلاة في العلم وممنا باستشراف المستقبل فيمكننا القول بأن العلم سيكون أكثر دلالة على قصوره وأكثر تدعيما للمواقف التي تؤمن بالأديان ووجود الخالق، لكثرة المعطيات التي ظهرت في القرن 20 وتدل على هذا المسار وتؤكده.

لقد يؤكد البارسون على تحول العلم من الاتجاه نحو المادية إلى الاتجاه إلى نصرة القضايا الغيبية وطالع كلامهم في هذا من ص 50 إلى 52

Scanned by CamScanner

5: الأمر بخاصين:

لم كثيرا ما كان يسخر غلاة العلم من أتباع الأديان ويصفونهم بالوصي إله القرآن وهي دعوى أن المؤمنين حين لا يجدون تفسيرا لبعض حقائق الكون ينسبونها لله مباشرة وإيمانهم بالله إنما كان ليسعوا به هذه الثغرات وهذا توصيف غير صحيح، فها هم غلاة العلم يقعون في مثل ما رموا به المؤمنين حيث أنهم وجدوا أمورا كثيرة في الكون لا يعرفون لها جوابا فاحتجوا إلى أن العلم سيفسرها في المستقبل فأنشئوا "علم الثغرات"

6: الأمر لبساديين:

لم يغيب غلاة في العلم على المؤمنين إيمانهم بالغيب، وسبحان الله وقعوا في نفس ما رموا به المؤمنين لكونهم يحيلون أمر العلم إلى المستقبل.

4: افتراض التناقض الزائف:

لم يزعم العلمويون أن العلم فسر لنا كل شيء، فلا داعي للإيمان بالله عز وجل، وهذه مغالطة استدلالية ظاهرة، لأنها قائمة على اختيار بين العلم أو الله، وهذا مجرد افتراض عقلي باطل، فلا تعارض بين تفسير العلم للكون وبين الإيمان بالله، بل الإيمان بالله أصل لصحة تفسير العلم.

لم ويؤكد هذا الفيلسوف "ريتشارد سوينبرن" و"جون ليكنس" بأن الله ليس إلها للفراغات كما يزعمون بل هو على النقيض أساس جميع التفاسير.

5: اختزال المكونات الرحبة وتفكيكها:

لم أدى غلو العلمويين إلى صرف مسار العقل الإنساني إلى المجالات التي يمكن للعلم البحث فيها وهي التجريبية، وصرفوه عن القضايا غير التجريبية، كالقيم والأخلاق والأسئلة الوجودية الكبرى، بل بعضهم حاول أن يصبغها بالصبغة التجريبية.

لم أدرك عدد من مفكري الغرب خطورة هذا الاختزال، ويؤكد هذا "هوسرل" وذكر أن العلوم الحديثة لا تستطيع أن توجه الإنسان، لأنها تقصي كل الأسئلة التي لها علاقة بالوجود الإنساني كأسئلة المعنى والغاية والقيم والأخلاق.

لم ويضيف "روجيه جارودي" بأن النزعة العلموية تستبعد أرفع أبعاد الحياة: الحب، الإبداع الفني، الإيمان.

Scanned by CamScanner

6: التخليط بين النظرية ومدلولها المعرفي:

من المعلوم أن هناك فرقا بين النظرية العلمية، وبين ما يؤخذ منها من مدلولات معرفية ودينية وفلسفية، فما يؤخذ منها قد زائد عليها خارج عن حقيقتها وعن طبيعتها التجريبية العلمية، فنحن في المجال الفلسفي والديني لا نتعامل مع النظرية العلمية ذاتها، وإنما نتعامل مع فهم خاص لتلك النظرية، واستنتاج عقلي معرفي خارج عن طبيعتها التجريبية.

لكن الغلاة يخلطون بين الأمرين ويجعلون من النظريات العلمية هو العلم ذاته، وهذا التخليط معرفي عارم الصحة، وساعد في انتشار هذا الأمر سطوة العلم وتضخمه وانجر عنه أن أخذ أصحاب الاتجاهات الفلسفية المتصارعة بالتشبث بالنظريات العلمية وأن هذه الأخيرة تدلل عن مواقفه وتدعم آراءه، ويشير إلى هذا برتراند رسل في توصيف استغلال بعض الفلاسفة لنظريات العلم (ص 56)

يظهر هذا الاستغلال للنظريات العلمية في: نظرية نيوتن للجاذبية والداروينية ونظرية الحتمية البيولوجية، أيضا النظرية النسبية (طالع تمثيلات عن هذا الاستغلال لتبشيع لهذه النظريات من ص 57 إلى ص 59)

* الإثنين 10 رمضان 1438 *

7: الانتقائية الاستدلالية:

مع إصرار الغلاة في العلم بضرورة الأخذ بالمنهج العلمي وتفسيراته، إلا أنهم لم يكونوا جادين في هذه الدعوى؛ فأخذوا من العلم بعض النظريات التي رأوا فيها ما يمكن أن تنصر قولهم وتؤيد موقفهم وأغفلوا النظريات الأخرى، وصوروا للناس أن العلم في جملته لا يدل إلا على ما ذهبوا إليه.

وهذا التصوير مجانب للحقيقة، فمع وجود كثير من النظريات المعارضة لتصورات الكنيسة، وبعضها أشكل على العقائد المقررة في الأديان الأخرى، إلا أنه عند التأمل في رائرة العلم بجملتها نجد أنه اشتمل على نظريات تدعم وجود الخالق وتؤكد احتياج الكون لقوة وقدرة خالقة للكون.

ومما يعضد هذا أنه من القرن 19 إلى الآن توجد جموع غفيرة من التجريبيين المؤمنين بوجود الخالق وصحة الأديان، ثم إن كثيرا منهم عند استدلاله على الإيمان بوجود الله يؤكد هذا الأمر بالأدلة التجريبية (طالع المثال الأول ص 61 وما بعدها)

Scanned by CamScanner

8: القفز الحكمي:

له ويُقصد به الانتقال إلى النتيجة من غير أن يكون في مقدمات الدليل ما يستلزمها أو يقتضيها، فإن العلاة كثيرا ما يؤكدون على أن نظرية ما تؤكد إنكار الخالق وبطلان الأديان، وإذا حققنا الأمر لا نجد لديهم من سبيل له وأشهر مثال في هذا هو: الجاذبية لنيوتن ويعتمدها الملاحدة في إثبات استغناء الكون عن الخالق، وعند التحقيق يتبين أن هذه النظرية لا تدل على قولهم، وغاية ما تكتشفه هو فهم طريقة سير الكون وعمله، ونيوتن مكتشفها كان يؤمن بالله.

9: الآثار المدمرة للعلم الحديث:

له إذا سلكنا منهج الخلط بين النظرية والاستنتاج منها، فإنه يمكننا أن نقول أن العلم قد أحدث تطورات هائلة وإيجابية في حياة الإنسان، لكن في المقابل ساعد في تكدير الحياة وإفساد العيش فيها، وأخذت الدراسات من القرن 19 تشير إلى خطورة الأمر، ومن أكثر من نقد العلم باعتبار الآثار المترتبة عليه آينشتاين.

له زاد الأمر حدة وانتشرت الحدية الكئيبة، ولهثا المثقلة بالمتاعب والأزمان، وتهاوت القيم التقليدية والتعلق بالأرض وعمار الإنسان رهين التقنية والتكنولوجيا والله المستعان. (طالع آثار العلم الحديث المدمرة إلى غاية ص 67)

الأصل الثاني: الاستغناء بالمنهج العلمي:

له تقوم حقيقة هذا الأصل على أن المنهج العلمي في البحث هو الطريقة الاستدلالية الوحيدة لإقامة المعرفة والعلوم وأن غير هذا المنهج كله خاطئ فاقد للصحة، وهذه الدعوى من أخطر القضايا التي نادى بها نقاد الأديان، والتي تبين بوضوح المسار المعرفي وآراء أصحاب هذا المنهج

له ويصفها وحيد الدين خان في ص 68 فيقول: "أن قضية الاستدلال في العصر الحديث هي معرفة الحقيقة بالتجربة والمشاهدة..."

له يقوم المنهج العلمي التجريبي على المذهب الفلسفي الحسي، الذي تشكل بصورته الحديثة في القرن 17م ثم تطور إلى صورته المكتملة في القرن 18م.

له طالع انتصار التجريبين لمنهجهم ص 68-69.

Scanned by CamScanner

الثلاثاء 11 رمضان 1438

مكونات المنهج التجريبي

*المكون الأول: القابلية للاختبار والتجريب:

لـ يصوّر الغلاة في هذا ويقولون أن كل منهج استدلالي لا يقوم على التجربة والملاحظة فهو باطل، وفيها هذا يقول "برتراند رسل": "... كيف ينبغي لنا قبول شهادات العالم الموحى به فيما لا تخضع للاختبار التجريبي" ثم تراه يتنصر للتجربة فيقول: "... العالم بنتائج تجربته يخبرنا بالطريقة التي أجريت بها التجربة ولكي للآخرين تجربتها والتأكد من صحتها". ويعيب على أهل الأديان ومناهجهم فيقول فيه بأنه صوفي يقوم على العاطفة الدينية.

لـ غلاة العالم يقولون أن صاحب النظرية العلمية لا يعتمد على مصادر التلقي والوجدان وإن صدقت في بعض الأحيان لفقدانها شرط القابلية للاختبار.

← أخطاء وأباطيل دعاة المنهج العلمي:

1- استحالة التوحد المنهجي:

لـ وذلك أن مشروع غلاة العالم يقوم على الادعاء بإمكانية شمول نتائج العلم ومنهجه لكل ظواهر الكون والإنسانية، وهي دعوى فاسدة قائمة على التعميم الذي لا يقوم على برهان صادق.

لـ مما زاده وتفاقمه هو اختلاف الحقائق الموجودة في الكون وتباينها؛ فالحقيقة الفيزيائية تخالف الحقيقة الإنسانية، وهذه الأخيرة تباين ظواهر الكون ← يستحيل وجود منهج علمي واحد يستوعب كل هذه التنوعات.

لـ أنكر فلاسفة العلوم على غلاة العلم وأصحاب الوضعية المنطقية زعمهم بأن المنهج التجريبي يمكنه دراسة كل الحقائق وقرروا أنه لابد من تضافر عدد من المصادر والمناهج في تأسيس منهج علمي متكامل يستوعب جميع مكونات الوجود.

لـ لمالعي تلاميذ العلامة في هذا وخلصوا أن العلاقة بين العلوم والفلسفة علاقة تكامل وتبادل وليست علاقة تضاد وعداوة. من ص 71 حتى 79.

لـ حيث انتشرت النزعة العلموية ونادت إلى إخضاع العلوم الإنسانية إلى التجربة ومنهج العلوم الطبيعية، انبرى عدد من العلماء والفلاسفة في دحض هذه الدعوى الباطلة، وأثبتوا استحالة التوحد المنهجي بين ظواهر الفيزياء وظواهر الإنسانية، وارستقر الأمر بأن طبيعة الموضوع هي التي تحدد المنهج العلمي المناسب لها.

Scanned by CamScanner

لـ أشهر من نادى بتعدد المناهج العلمية الفيلسوف "باومرغيبي أيند" (1944) وألف كتابا أسماه:
"عند المنهج: مخطط تمهيدي لنظرية موضوعية في المعرفة" وفكرة الكتاب تتلخص في أن العالم لم يكن أبدا أسير منهج واحد محدد
لـ يؤكد هذا أيضا زكي نجيب محمود من أتباع الوضعية المنطقية ص 73 في مثال الخ.
لـ صيد الزوم لتعدد المناهج العلمية ظاهر جدا في دلالات النصوص الشرعية، وتدل على أن الوحي ليس هو الوحيد
في إدراك كل حقائق الوجود ودعوة إلى مداولة المنهج التجريبي، ومن أهمها:

لـ الدلالة الأولى: تأسيس مبدأ التجريب:
لـ من أشهر النصوص الشرعية في هذا: حديث تأبير النخل (ص 74)، وفي هذا نقرير على أن ما يتعلق بشؤون
الحياة المحضة مردّه إلى الخبرة والتجربة.

لـ الدلالة الثانية: النزول على رأي الخبراء:
لـ منه نشاهد نزول رأي النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر على رأي الحباب بن المنذر رضي الله عنه (ص 74).
وفي هذا ضرورة تدل على ضرورة تعدد المناهج.

الدلالة الثالثة: الاعتماد على الإحصاء العددي:
لـ منه حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه (ص 75) يدل على أنه كان بإمكان النبي الاعتماد على الوحي، لكن
اعتمد على الإحصاء العددي لينبه الصحابة على ضرورة هذا المبدأ.

لـ اشتمال المنهج العلمي على مكونات غير تجريبية:
لـ المنهج العلمي التجريبي الحديث ليس خالصا في التجريبية وليست كل مكوناته مستخلصة من الاختبار والملاحظة.
لـ ومن أهم المكونات غير التجريبية في المنهج العلمي: الفروض العلمية، فهي ليست وليدة الملاحظة وإنما
يتوصل إلى كثير منها بالاستدلال والاستنباط، والفرض العلمي لا يمكن إثباته بالتجربة، وتحول العالم
في مرحلة متأخرة من القرن 20 إلى ما يسمى "بالمنهج الفرضي" والذي يبدأ بوضع الفروض قبل التجربة خلافا للمنهج
التجريبي التقليدي الذي عكسه يبدأ بالتجربة ثم يضع الفروض. طالع كلام العلماء في ص 76 ← 78.
لـ ويؤيد هذا أن العلم الحديث أخذ يحوي على نظريات ليست خاضعة للملاحظة والتجربة وإنما هي ذات طابع غيبي ميتافيزيقي
مثل نظرية الكم والنظرية النسبية.

Scanned by CamScanner

لـ وعا يكشف أن المنهج العلمي ليس مقتصرا على المكونات التجريبية وجود قدر جوهري ليس متحصلا عليه من التجربة:
← وجود البعد التسليمي في بنيته، فالعالم التجريبي يستند إلى أن العالم له وجود حقيقي وهو منوعي وقوانين الكون متسقة ومطردة وثابتة. طالع كلام "أينشتاين" ص 179 أيضا "بول موي"

* الأربعاء 12 رمضان 1438هـ *

3- توسع معنى التجريب:

لـ حين استعمال البلوغ إلى التجريبية المطلقة، فإن المنهج العلمي لم يقتصر على ما تثبته التجربة فقط، لأنه لو اعتمد على هذا فسيفقد كثيرا من المكونات الجوهرية في العلم وفي حياة الإنسان، ويوضح هذا "برتراند رسل" ص 88.
ويظهر هذا التوسع في معنى التجريب ليس مثلا قانون الجاذبية، فهذا الأخير ليس من القوانين التجريبية التي يمكن التحقق منها في المخابر، وإنما أثبت من خلال آثاره المشاهدة في الكون، كذلك الكترون، نظرية التطور وغيرها.
لـ منهج الاستدلال على الشيء بآثاره طريقة صحيحة متسقة مع دلالات العقل السليم وهو من أكثر المناهج العلمية المعتمدة ونحن لا ننكر اعتماد المنهج العلمي عليه وإنما إنكارنا في مواطن ثلاثة:

← الأول: التطبيق الخاطئ لهذا الطريق وعدم استيفاء شروطه ومقوماته كما هو في نظرية التطور.

← الثاني:
اختزال تطبيقه، حيث يطلق على النظريات العلمية الطبيعية فقط، مع دعوى أنه لا ينطبق إلا عليها فقط.

← الثالث:
التوصيف الخاطئ لطبيعة هذا الطريق، فالاستدلال بالآثار على أسبابها ليس تجريبيا محضا وإنما هو تجريبي عقلي في آن واحد

لـ الدين في تأسيسه لأصوله الكبرى يقوم على هذا المنهج، فالأدلة التي يستند إليها المؤمنون في إثبات وجود الله قائمة على الاستدلال بالآثار. فأدلة الوجود الإلهي وغيره من الأصول مركبة من دلالة الحس والعقل معا.
لـ كلا من نظرية التطور وإثبات المؤمنين لوجود الله قائم على الاستدلال بالآثار، فلماذا يوصف الأول بالدقة والعلمية ولا يوصف منهج المؤمنين بذلك؟!!. ومن أفضل من نبه على هذا الخلل المنهجي المفكر "حيدر لدين خان" ص 81 وطالع كلام الجزيئين في هذا الباب ص 82.

Scanned by CamScanner

4: اضطراب معايير العلمية:

لم يتفق دعاة انتصار المنهج التجريبي في تحديد ضابط يميز بدقة ما هو علمي وما ليس بعلمي، وهي قضية محورية في دعواهم، وقعوا في اضطراب شديد، فنحا أتباع الوضعية المنطقية إلى إمكان التحقق التجريبي وآخرون إلى إمكان التكذيب التجريبي وبعضهم ذكر غير ذلك.

من أشهر من أثار هذه القضية "ستيفن جاي" من جامعة كامبردج في سياق نقده للعلموية ثم قال بأن أغلب الفلاسفة في سؤال: ما الذي يميز العلم من اللاعلم؟ هو سؤال مستعص ومحل.

5: الوقوع في التناقضات المنهجية:

من أدق شيء يُظهر على عدم اضطراب الأفكار هو التناقض بين مكوناتها، عادة ما يكون التناقض في طبيعة الأفكار ذاتها، وهذا ما وقع فيه العلمويون منها:

- التناقض الأول:

من أسلفنا الحديث بأن المنهج العلمي قائم إلى قدر كبير من كيانه على مكونات غير تجريبية وإنما يأخذها أخذ التسليم أو الاستدلال بالآثار، وهذا تناقض مع دعوى العلاة، فإنهم كثيرا ما يعيبون على المؤمنين بالأديان أنهم لديهم أصول لا تخضع للتجريب، وأشار العلامة "كارل باد" إلى هذا التناقض المنهجي الصارخ ص84

- التناقض الثاني:

من يصير غلاة العلم على أن العلم يدل على بطلان الأديان، ولكنهم لما يرى المؤمنين يستدلون بالعلم لإثبات صحة الأديان يعترضون عليهم بحجة أن الأديان لا تدخل ضمن ما يمكن تجريبه. طالع كلام وحيد الدين خان ص84-85.

ويقول أن قضية العقل الحديث مع الدين تشتمل على جانبين متناقضين في آن واحد، 1: يرى العقل الحديث من ناحية أن الدين مجموعة عقائد لا تخضع للتجربة لذا يعتبرون العقيدة عملا شخصيا، 2: في نفس الوقت جمع هائل من مفكري هذا المنهج يدعون أن الكشوف العلمية الجديدة قد أبطلت العقائد الدينية.

- التناقض الثالث:

من كثيرا ما يصف غلاة العلم كل باحث يصل إلى ما يوافق رؤيتهم بالنزاهة والدقة والتحقق في العلم وكل من خالفها اتهم بالضحالة ويردون كلامه مع أن كلا الصنفين استخدم المنهج العلمي نفسه.

Scanned by CamScanner

6- القفز الحكمي:

لـ من أصول المنهج العلمي أنه لا يثبت ولا ينفي ما لا يمكن إخضاعه للاختبار والتجريب، لكون هذه الأمور خارجة عن نطاق عمله، وأصول القضايا الدينية لا تخضع للاختبار، والمنهجية العلمية الصحيحة تقتضي بألا يُحكم عليها من خلال المنهج التجريبي بإثبات ولا نفي، لكونها خارجة عن نطاقه، وطالع كلام "برتراند رسل" في هذا ص 86!!!.

لـ ومع هذا فغلاة العلم يتجاوزون طبيعة العلم، ويدعون على أنه يدل على إبطال الإيمان بوجود الله، وهذا تجاوز للمقدمات بغير دليل.

إشكال منهجي:

نقول لمن لا يؤمن إلا بدلالات العلم وحكمه على كل ما يدركه العلم بالخرافة والعدم: هل منشأ حكمك هذا راجع إلى: 1- أن ما لم يدركه العلم لكونه غير موجود؟ 2- أم لكونه لا دليل على وجوده؟

فإن قال:

← لكونه غير موجود:

وهذا مخالف للضرورة العقلية الواضحة، لكون العلم كاشفا وليس خالقا، ويلزم من هذا أن المجرات التي لم يكتشفها العلم إلا في العقود الأخيرة كانت معدومة، ولم يتحقق لها الوجود الفعلي إلا بعد اكتشاف العلم لها، وهذا لا يقول به عاقل.

← لكونه لا دليل على وجوده:

نقول له: عدم الدليل المعين ليس دليلا على العدم، فأهل الإيمان يشتركون معك في أن ما لا يدركه العلم لا يحكم عليه بنفي ولا إثبات، ولكن زادوا عليك به دليلا آخر إما من العقل وإما من الوحي الصادق.

لـ فتجاوز غلاة العلم إلى الادعاء بأن العلم يدل على نفي القضايا التي تدخل تحت التجريب، وهذا قفز حكمي لا دليل عليه.

لـ طالع كلام شيخ الإسلام في اللازم والملزوم ص 87.

Scanned by CamScanner

7: فقدان الدقة:

لـ كثيرا ما يدعي غلاة العلم أن المنهج العلمي يتصف بالدقة والوضوح خلافا للمناهج الدينية والفلسفية، وهذه دعوى مجردة، فهذا المنهج كغيره، فيجد من مكوناته ما هو واضح ومنها ما هو بسيط ومنها ما هو معقد، ويوضح هذا "السير جيمس جينز" ويقول: "... ولهذا فليس له الدقة - أي العلم - على الوصف الدقيق المتفق عليه" وتناولت صفاء الدين الباحثين خصوصا فيما يتعلق بالفيزياء الحديثة.

8: اقتحام الموضوعية:

لـ يدعي غلاة العلم أن المنهج العلمي منهج موضوعي ولا يمكن دخول الأهواء الزائفة فيه.

لـ مع التسليم بأن العلم فيه قدر كبير من الموضوعية والدقة والكد وصفها بالمطلقة فهذا غير صحيح، فكثيرا ما يكون للأفكار والأخلاق والطبائع التي يحملها الباحث أثر على نتائجه وتصوراته العلمية، فالباحث لما يدخل مختبره لا يخلع أفكاره المسبقة خارج الباب ويؤكد "فيرابند" ذلك فيقول: "إن ما هو مدرك يعتمد على ما هو معتقد" ويعبر بهذا على أن الباحث المجرب كثيرا ما يتأثر بمعتقداته وأفكاره التي يحملها.

لـ طالع مقولات علماء الغرب في هذا في ص 92-93.

لـ يظهر تأثير الاعتقاد والمواقف التي يؤمن بها الباحث عند تفسيره للأحداث بشكل كبير في دراسة فرضية التطور، فإنهم كلما أعوزتهم مشتبهة أو استشكلوا في مجال الوراثة بادروا إلى تفسيرها تفسيرا تطوريا مع أن كل النماذج التي يستدلون بها يمكن تفسيرها تفسيرا مختلفا عن نظريتهم.

لـ يذكر مفكر العصر "عبد الوهاب المسيري" رحمه الله أن النموذج الغربي لم ينفك عن التحيز ويظهر ذلك جليا في:

1: التحيز الجانب المادي على الروحي الإنساني ثم 2: التحيز لجانب الفناء الفانية من الوجود الى جانب الآلية

3: التحيز للتطور والنظرية الداروينية والسوق والتشكيك ضد المعاني الإنسانية الثابتة المستقرة.

لـ يحظى العلم لكثير من المغالطات السياسية وهو ما يسميه الدارسون "العلم الموجه" أي الذي يخضع لقوة السياسة، ويظهر هذا جليا في حال الشيوعية، طالع أكثر في هذا من مقولات الغربيين من 95-96. تابع الفيلم لوثائق "مطرودون".

Scanned by CamScanner

الجمعة 14 رمضان 1438هـ

*المكون الثاني من مكونات المنهج العلمي: الاستقراء "النزعة الاستقرائية"

الاستقراء:

- منهج بحثي يعتمد على الانتقال من عدد محدود من الحالات الخاصة إلى الكشف عن القوانين العامة.
- نشأ الاهتمام بالمنهج الاستقرائي مع بداية النهضة العلمية في القرن 17 مع "فرانسيس بيكون" وازداد التعلق به إلى أن أصبح هو المنهج العلمي الوحيد في القرن 19.
- كثير من الفلاسفة يقول بأن المنهج الاستقرائي هو الممثل الوحيد للعلم والمنهج الاستنباطي هو ممثل الزيف. طالع الكلام "برتراند رسل" ص 101.
- أشهر علاة المنهج الاستقرائي الفيلسوف الانجليزي "جون استوارت مل" (1873) وبالغ في هذا المنهج حتى عدّ قوانين الرياضيات وقوانين الفكر الصوري تعميم ذهني عن طريق الاستقراء، وألف كتابا مؤسسا للمنهج الاستقرائي سماه "نسق المنطق"
- ومن أشهر من غلا في هذا المنهج هم أتباع الوضعية المنطقية، طالع كلام "ريشنباخ" ص 101.
- وكثيرا ما نجد الدعوة الوضعية المنطقية في العالم العربي "زكي نجيب" إلى الانتصار للمنهج الاستقرائي وتحقير المنهج الاستنباطي

تفويض المكون الثاني:

- النقد الموجه للنزعة الاستقرائية ليس المقصود منه إبطال المنهج بالكلية وإنما دحض فرية أنه لا طريق للمعرفة إلا به.
- من أشهر من نقد المنهج الاستقرائي في القرن 20 "كارل بوبر" و "دوهيم"

خلل المنهج في النزعة الاستقرائية:

1: المناقضة لطبيعة المعرفة الإنسانية:

- وذلك أن النزعة الاستقرائية تقوم على اعتماد المنهج التجريبي فقط وهذا الأخير يرى أن مصدر المعرفة الإنسانية هو الخبرة الحسية، وهي وسيلة واحدة وهي الحواس فقط، والحقيقة أن مصادر المعرفة تتراكب وتتداخل وتتكامل

2: تعذر الاستقراء الخالص:

- يصرح علاة العلم أن المنهج العلمي منهج استقرائي خالص وهذا غير صحيح البتة، فالعلم التجريبي ليس مجرد انعكاس لصورة الواقع التجريبي فحسب، وإنما يخضع لتأثير عقل الإنسان وطباعه وقدراته وميوله، فالبحث الذي يجتزئ فيه بصورة عميقة - طالع كلام أينشتاين ص 103.
- ويؤكد علماء فرنسيون استحالة المعرفة بمجرد الاستقراء وإنما لابد من اشتراك الاستنباط لعلة نحن لندخل العقل الإنساني في صناعة العلم.

Scanned by CamScanner

لم أشهر نقاد النزعة الاستقرائية الفيلسوف "ليبرهيوول" (1866م)، وأدرك أن المعرفة الإنسانية ليست محصلة التجريب فقط، وإنما هي محصلة تفاعل العقل الإنساني ومكوناته مع معطيات الحس الخارجية.

ومن أهم من نبه على الخلل المنهجي في النزعة الاستقرائية: "هنري بوانكاريه" و"كارل بوبر" ثم جاء بعد "بوبر" "وهيم".

3: العجز عن الإثبات:

كما أسلفنا غلاة الاستقراء ينطلقون من إيمانهم بالمنهج التجريبي، وهذا المذهب يستلزم بالضرورة القضاء على الأصول التي يعتمد عليها الاستقراء؛ لأن حقيقة الاستقراء ترجع إلى إمكان التنبؤ بالمستقبل، والتنبؤ بالمستقبل يقوم على تسليم مبدأ ثبات خصائص الأشياء واطراد التتابع بينها، وهذه مبادئ لا يستطيع المذهب الحسي إثباتها، بل يستلزم إنكارها، وهذا خلل منهجي قادح. طالع كلام "بركراند راسل" و"بيشتنباخ" ص 106.

* الأصل الثالث: الاقتصار على تفضيل المنهج العلمي:

لما بعد تطور العلم في القرن 20م، وبان نقصه وتراكمت الاعتراضات على منهجه ومساره العلمي، تراجع غلاة العلم عن دعواهم إلى درجة أقل تحمساً وتواضعاً، وأقر الكثير منهم بعدم سلامة المنهج العلمي من الإشكالات، لكن مع ذلك يبقى أفضل علومهم المناهج وأقلها عيوباً.

لما طفقت تبريراتهم في تفضيلهم للعلم إلى أن قالوا أن العلم يقبل التغير والتبدل بخلاف المنهج الديني، طالع كلام "راسل" ص 108.

لما هذه الدعاوى لا تختلف عن سابقتها فهي قائمة على فكرة التشمولية المستحيلة، ولم تتغير في الدعوى العلموية إلا الانتقال من مرحلة الجزم إلى مرحلة التصريح بالأفضلية فقط.

لما الحقيقة أن جميع المناهج تتكامل وتتراكب فيما بينها لتلبية حاجيات الإنسانية.

Scanned by CamScanner

-: بسم الله الرحمن الرحيم :-

-> المادة الثانية: مصادر التلقي الشرعية

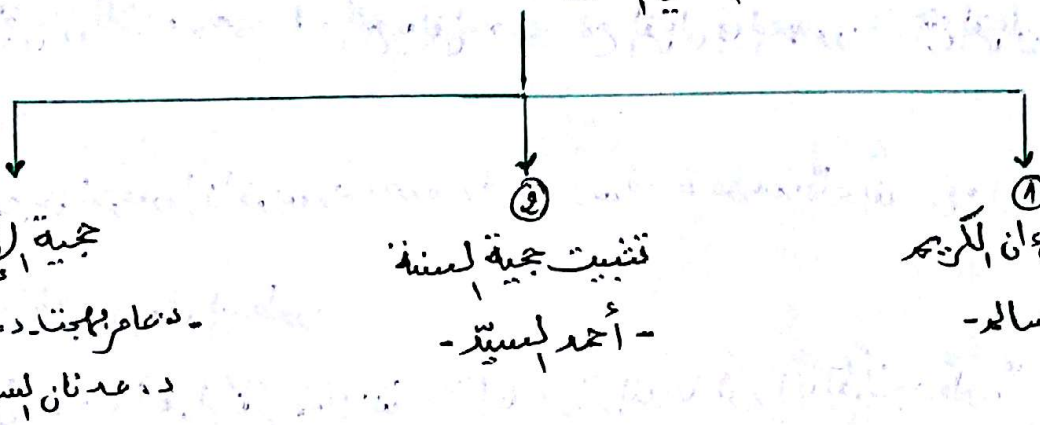

السبت 15 رمضان 1438 هـ

-> جمع القرآن: مدخل في سؤال وجواب: —

أ. أحمد سالم.

* الفصل الأول: مقدمات ومفاهيم أساسية:

المسألة الأولى: ما القرآن؟:

← القرآن هو "كلام الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، المعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته، المنقول بالتواتر، المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر الناس"

تسمية القرآن بالقرآن والكتاب:

يقول الإمام محمد دراز رحمه الله: سمي قرآنا: كونه متلوًّا بالألسن وسمي كتابا: كونه مدونًا بالأقلام، فيجب حفظه في الصدور، وتسطيره جميعا رسمًا.

المسألة الثانية: ما مفهوم جمع القرآن؟

← ما نعلمه أولا بشبان وبيقين أن القرآن نزل مفرقًا والحكمة من ذلك لتثبيت قلب النبي [الإسراء 106].

لم يقل فرقناه"

← الطبري: "عن ابن عباس أنه كان يقرأ بتشديد الراء "فرّقناه" بمعنى نزلناه شيئًا بعد شيء"

← ابن عطية: "أنزلناه شيئا بعد شيء لا جملة واحدة"

Scanned by CamScanner

لـ معنى جمع القرآن:

هو ضم هذا المتفرق من القرآن، وهذا الضم يكون إما في القراءة، وإما في الحفظ، وإما في الكتابة، وهي أنواع الجمع

لـ المسألة الثالثة: ما الصور التي يصدق عليها جمع القرآن؟

لـ صور جمع القرآن ثلاث وهي: 1: الجمع بالقراءة. 2: جمع القرآن في الصدور. 3: جمع القرآن في السطور.

1: الجمع بالقراءة:

لـ وهو أقل شهرة من النوعين الآخرين وشاهده ما رواه ابن ماجة عن عبد الله بن عمرو قال "جمعت القرآن؛..." الحديث

2: جمع القرآن في الصدور وفي السطور:

لـ وهما أشهر الصور وأهم الركائز، قال الله: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"

لـ أورد نا كلام الإمام "دراز" في معنى القرآن والكتاب.

لـ المسألة الرابعة: ما مفهوم جمع القرآن في الصدور؟

لـ يقصد به: جمع المسلم للقرآن في صدره، وهو لم يتفرق القرآن في حفظه إما كله وإما بعضا منه، وهي صورة الجمع التي يسرها الله لنبيه فقال "سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ"

لـ وقول السجستاني: "يقال للذي يحفظ القرآن: قد جمع القرآن"، وهي الأصل في نقل القرآن كما قال شيخ الإسلام في ص 123-124.

لـ مصطلح جمع القرآن بهذه الدلالة قديم جدا وهو من ألفاظ القرآن يقول سبحانه: "... إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ"

وأخرج البخاري بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال "كان رسول الله يعالج من التنزيل شدة..." الحديث ص 124

لـ تم توثيق حفظ النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن عبر آلية غاية في الدقة والإتقان وهي مدارسة جبريل للنبي القرآن وحديث ابن عباس ص 124 دليل على هذا.

لـ تحمل صحابة النبي أمانة حفظ القرآن وكان منهم أربعة من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد، وزيد بن ثابت وقد قتل في واقعة بئر معونة 70 من القراء مما يدل على اتساع حملة القرآن. الحديث ص 126

لـ تعدى الاشتغال بالقرآن إلى أن وصل إلى النساء مثل أم هشام بنت حارثة بن النعمان وأم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصاري وكانت قد جمعت القرآن في عهد النبي.

لـ الجمع في الصدور كان أوسع نطاقا بين الصحابة من الجمع في الصحف.

Scanned by CamScanner

الأحد 16 رمضان 1438

المسألة الخامسة: ما المراد بالأحرف السبعة؟

هذه المسألة هي قطب الرحى في علم القرآن، وألفت فيها البحوث البسيطة والعريضة، والخوض من طرحنا لهذه المسألة هو ذكر الفوائد المستنبطة من الأخبار فيها وأقوال العلماء في مفهوم الأحرف السبعة.

* أولا: أهم الأخبار المروية في المسألة:

1: حديث ابن شهاب المخرّج في السنن ص128

2: حديث ابن عباس الذي أخرجه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي ص129.

3: " أبي بن كعب " " " " " " ص129

قال أبو عبيد القاسم بن سلام بأن هذه الأحاديث كلها متواترة، وهي أصح ما ورد في مسألة الأحرف السبعة.

← فوائد الأحاديث:

استخلص الشيخ مساعد الطيار من هذه الأخبار الفوائد التالية:

1: إن نزول السبعة أحرف كان في المدينة بدلالة قوله: "إن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أضاة بني غفار" وهو موضع في المدينة.

2: القرآن في العهد المكي، وفترة من العهد المدني كان يقرأ على لغة قريش لسان النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يرد بأنه قرأه بغير ذلك.

3: هذه الأحرف نزلت من عند الله بدلالة قول النبي صلى الله عليه وسلم "هكذا أنزلت"

4: لا يمكن معرفة الأحرف إلا من طريق النبي خلافا لمن ذهب إلى جواز القراءة بالظن.

5: هذه الأحرف نزلت بالتدريج بعد مراجعة النبي لربه

6: إن العدد "سبعة" يقصد به العدد المعروف وهو ما بين 6 و8 وفي هذا دلالة على الحد خلافا لمن ذهب إلى أن المراد بالسبعة التكثير.

7: هذا الاختلاف كان له أثر كبير على بعض كبار الصحابة من القراء كما حصل لعمر وحكيم بن حزام رضي الله عنهما.

8: القراءة بأي حرف من الأحرف السبعة تعتبر قرآنا، وبأيها قرأهم مصيب

9: طلب النبي للاستزادة من الأحرف دليل على رحمته بهذه الأمة.

Scanned by CamScanner

المسألة السادسة: أقوال العلماء في المراد بالأحرف السبعة وأبرز الاعتراضات الواردة في هذا وطريق حل مشكل هذه الأحرف السبعة:

- أجمع العلماء على أن الأحرف السبعة ليست هي القراءات السبع. كما في كلام أبو الفضل الرازي ص 132، واتفقوا على أن الاختلاف بين الأحرف السبعة من باب اختلاف التنوع لا التضاد. (كلام شيخ الإسلام ص 132)
- اختلفت العلماء بعد ذلك في معناها، وأوصلها بعضهم كالقرطبي إلى 35 قولا، والسيوطي إلى 40 قولا.

ويؤكد الشيخ مساعد الطيار ص 133 أن جيل الصحابة لم يُعهد عليهم هذا الإشكال في تحديد معناها.

- الاختيارات السبعة التي يعود إليها غيرها غالبا:

← القول الأول:

إن الحديث من المتشابه الذي لا يُدرى تأويله ولا معناه. وهذا قول السيوطي وابن سعدان النحوي؛ فإن قصدا رحمهما الله أن الحديث من المتشابه بالنسبة إليهما فلا تثريب عليهما، وأما إن قصدا أن الحديث فعلاهم من المتشابه فالقول ضعيف لأمرين:

* الأول:

أن الصحابة عقلوا مراد النبي صلى الله عليه وسلم من تلك الأخبار وفهموه

* الثاني:

كيف يكون المنزل للتيسير ورفع الحرج متشابها لا يُدرى معناه، وكيف ينتفع بتلك الرخصة إذن؟!!

← القول الثاني:

العدد "سبعة" لا يراد به حقيقة العدد وإنما التكثير، وهذا قول القاضي عياض والإمام جمال الدين القاسمي ومصطفى صادق الرافعي وإبراهيم أنيس.

ورواية المراجعة بين النبي وجبريل تدل دلالة واضحة على قصد العدد.

← القول الثالث:

هو قول أبي شامة المقدسي ص 134 وانظر الرد عليه في نفس الصفحة.

← القول الرابع:

المراد بالأحرف السبعة، سبع قراءات في كل كلمة، وهؤلاء على ثلاثة أقوال:

الأول:

إن كل كلمة نزل فيها سبعة وجوه قرائية، ولكن قد تخفى علينا بعض الوجوه، فلا تنقل.

Scanned by CamScanner

- الثاني:
بعض الكلمات في القرآن تُقرأ على 7 أوجه وأن وجود هذه الكلمات يكفي لتحقيق الخبر

- الثالث:
لا يشترط لهون حدوث هذا الاختلاف القرائي إلى 7 قراءات في كل كلمة، ولكن بعض الكلمات تأتي على وجهين، وأخرى على ثلاثة، وبعضها على سبعة، ولا تتعدى السبعة.

لـ قال البغوي ص 135 أن أظهر الأقاويل وأصحها أن المراد من هذه الحروف اللغات، وهو أن يقرأ كل قوم من العرب بلغتهم من الإدغام والإظهار والإشمام ....

لـ وقال الحافظ ابن حجر: "أي على 7 أوجه، وليس المراد أن كل كلمة ولا جملة منه تقرأ على 7 أوجه، بل المراد أن غاية ما انتهى إليه عدد القراءات في الكلمة الواحدة إلى سبعة.

لـ فإن قيل: "إنا نجد بعض الكلمات يقرأ على أكثر من 7 أوجه"

لـ الجواب:
غالب ذلك إما لا يثبت الزيادة، وإما أن يكون من قبيل الاختلاف في كيفية الأداء كما في المد والإمالة.

- القول الخامس:
المراد بالأحرف السبعة، سبع لغات من لغات العرب المشهورة، وتفرق هؤلاء على قولين:

لـ القول الأول من الأقوال الراجعة بالأحرف لمعنى اللغات:

أن هذه اللغات منتشرة في القرآن، فبعضه بلغة قبيلة، والآخر بلغة قبيلة أخرى، وأكثر بلغة قريش.

لـ هذا قول الأئمة: أبو عبيد والبيهقي وابن عطية رحمهم الله.

* أقوى ما يعترض به على هذا القول:

- الأول:
أن أشهر اختلاف وقع كان بين عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم وكلاهما قرشي، وأجيب على هذا ص 137

- الثاني:
لغات العرب المنتشرة في القرآن أكثر من سبع.

- الثالث:
ما أنكره الجاري فيه أن لو كان هذا هو معنى الأحرف لما أوجب هذا الاستشكال اختلافا بين الصحابة ....

Scanned by CamScanner

القول الثاني من الأقوال الراجحة بالأحرف لمعنى اللغات:

إن المراد بسبع لغات من لغات العرب في الكلمة الواحدة تتفق معانيها وتختلف ألفاظها نحو "أقبل وهلم" و"امضوا واسعوا"

وهذا اختيار ابن عبد البر وجماعة من أهل العلم وهو قريب من قول الإمام الطبري.

طالع كلام الأئمة وأدلتهم ص 138

الإثنين 17 رمضان 1438

مما يعترض به على هذا القول:

← أولا:

غاية ما يفيده الجواب الذي استدلوا به أن هذه أمثلة وصور من صور تنزيل القرآن على سبعة أحرف.

← ثانيا:

مقتضى هذا القول هو إخراج باقي الأوجه القرائية أصلا وفرشا على أن تكون من الأحرف السبعة المنزلة.

← ثالثا:

أورد د. عبد العزيز القاري و أ. د حسام الدهمان أن ما نسب لعثمان رضي الله عنه من أنه أبقى حرفا واحدا، فإن ذلك أمر لا يصح، لأن ذلك يعني أن أحرفا أنزلت وأن بعض الأمة قد تركتها وهذا يخالف قول الله عز وجل: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" ومن استنكر هذا وتشنع عليه ابن حزم رحمه الله ص 139

← القول السادس:

إن المراد سبعة أوجه من التغاير والاختلاف، والمعنى: أن القرآن يتنزل على وجوه متغايرة، إذا تم استقراء وجوه الاختلاف نجد أنها ترجع إلى سبعة وجوه، مثل الاختلاف بالحذف والإثبات

يمكن حصر خمسة وجوه في الأوجه السبعة للاختلاف:

أولا: قول أبي العباس أحمد بن واصل:

1: الاختلاف بين نقطة ونقطة في قراءتين لحرف واحد لمعنى واحد: نحو "تعلمون" و"يعلمون"

2: يكون المعنى واحدا، ويقرأ بلفظين مختلفين: "فاسعوا" قرئ "فامضوا"

3: اختلاف اللفظ والمعنى والموصوف واحدا: نحو: "مَلِكِ" و"مَلِيكِ"

4: أن يكون في الحرف لغتان، والمعنى واحد وهجاؤهما واحد ومثاله "الرُّشْدَ" وقرئ "الرُّشُدَ"

طالع بقية الأقوال:

ثانيا: أبي حاتم السجستاني ص 142

ثالثا: ابن قتيبة، الباقلاني ص 143

رابعا: أبو طاهر بن أبي هاشم ص 144

خامسا: أبو الفضل الرازي ص 144.

سادسا: أبي الحسن الشطاوي ص 145

سابعا: ابن الجزري 146.

Scanned by CamScanner

لي الاعتراضان على هذا القول:

أولا:

التكلف في الربط بين الأحرف السبعة وبين عدد محدد سلفا، بحيث يتحرك العالم للاستقراء وغرضه أن يصل إلى سبعة وجوه ليوافق الخبر

ثانيا:

إمكانية الزيادة والنقص والجمع والتفريق بين هذه الوجوه المستقراة مما يضعف الأساس العلمي لهذا القول

القول السابع:

قال به بعض المعاصرين وحاصله: "وجوه قرائية منزلة منزلة متعددة متغايرة في الكلمة القرآنية ضمن نوع واحد من أنواع التغاير" وفيه تأثر بالقولين 4 و6.

إشكالات:

1- هل يلزم أن تصل إلى 7 أوجه؟ الجواب: ذلك أقصى ما تصل إليه هذه الوجوه المنزلة، فقد يكون في الكلمة الواحدة وجه أو وجهان إلى 7 أوجه قرائية

2- لم قُصرت الأحرف بالأوجه القرائية؟ الجواب: دلالة الأحاديث تدل على شيء متعلق بالقراءة.

← ما المراد بهذه الوجوه القرائية:

وقع خلاف كثير فيها، الذي يظهر والله أعلم أن الوجوه من حيث هي أكثر من 7 وجوه، لكن لم يجمع في الكلمة الواحدة ضمن نوع واحد من أنواعها أكثر من سبعة. الأمثلة ص 148

← هل بقيت هذه الوجوه أم نُسخت وتُركت:

لم الجواب: "ما وصلنا من قراءات يدل على أنه قد تُرك بعض القراءات التي كان يُقرأ بها، لأن أعلى ما وصلنا من الوجوه القرائية المتواترة في الكلمة الواحدة خمسة أوجه نحو كلمة جبريل"

← لم لا نجد في كلمة سبعة أوجه من أنواع التغاير

لم الجواب:

لأنه قد وقع ترك لبعض الأوجه في العرضة الأخيرة، فكان ما بقي منها لم يتجاوز الخمسة، وهذا استدلال بالثابت من القراءات الموافقة للعرضة الأخيرة.

Scanned by CamScanner

* الثلاثاء 18 رمضان 1438 *

لـ أقسام القراءات:

← القسم الأول: القراءات المشهورة التي تلقتها الأمة بالقبول، وحكم عليها العلماء بالتواتر.

← القسم الثاني: القراءات الصحيحة التي لم تنقل إلى حد الشهرة والقبول وقد تركن القراءة بها.

← القسم الثالث: ما سوى ذلك مما ينسب إلى بعض القراء أو غيرهم بلا سند، وهي عند التحقيق ليست من القراءات.

لـ لا يجوز لأحد كائنًا من كان أن يحذف ما ثبت قرآنيته.

لـ إن جميع الوجوه القرائية الثابتة عن الأئمة في القراءات العشر المعتبرة، أنها مما قرأ بها النبي صلى الله عليه وسلم وهي مما أنزل ولا يجوز لأحد أن ينقص أو يزيد عليها.

لـ الضابط في معرفة المتروك (المنسوخ) من غيره هو ما ثبت في العرضة الأخيرة التي استقرت القراءة عليها أيام عثمان رضي الله عنه، لكن لم يكن كل الصحابة يعلمون بما رفع وما ترك كما كان يعلمه زيد بن ثابت رضي الله عنه وغيره.

لـ اعتراضات على البناء العلمي للقولين الخامس والسادس:

← ربط أصحاب هذين القولين قولهم بدعوى وقوع نسخ لبعض الأحرف السبعة في العرضة الأخيرة.

ويمكن صياغة الاعتراض فيما يلي:

1: العرضة الأخيرة كانت في رمضان ونزل بعدها قرآن إلى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وأن هذا القرآن فيه قراءات شاذة لم تثبت في المصحف، فلو كان النسخ في العرضة الأخيرة يصلح حجة لدعوى الشذوذ، فهذه القراءات بعد النسخ يقينا، فكيف كانت شاذة؟!!

لـ توجد اعتراضات ص 153-154 لم أوردها خشية الإطالة.

لـ المسألة السابعة: ما المقصود بالعرضة الأخيرة وما الدليل عليها؟

• العرضة الأخيرة هي آخر عرضة دارس فيها جبريل النبي عليه الصلاة والسلام القرآن.

• والأدلة عليها حديث عائشة وفاطمة وابن عباس وسمرة بن جندب ومحمد بن سيرين رضي الله عنهم ص 155

لـ المسألة الثامنة: من شهد العرضة الأخيرة من الصحابة؟

← الثابت بالأسانيد الصحيحة هو شهود عبد الله بن مسعود لها، ويشتهر شهود زيد بن ثابت للعرضة الأخيرة لكن الإسناد في الأخير لم يوقف على صحيح منه.

Scanned by CamScanner

لـ هل هناك علاقة بين العرضة الأخيرة وجمع القرآن؟ المسألة التاسعة:

لـ تأمل أقوال البغوي والشاطبي وابن الجزري رحمهم الله في هذا وما أضافها لإطالة ص 59957

لـ المسألة العاشرة: عرّف القراءات، وما الفرق بين القراءة والرواية والطريق؟

← القراءات: مذاهب لأئمة قالين لكتاب الله عز وجل في كيفية أداء الكلمات القرآنية اتفاقا واختلافا مع عزو كل مذهب لصاحبه

← القراءة: ما ينسب إلى الأئمة القراء ← الرواية: ما ينسب للرواة عنهم مباشرة ← الطريق: ما ينسب للرواة الأسفل فالأسفل

لـ المسألة الحادية عشرة: هل القرآن والقراءات بشيء واحد؟ أم أنهما شيئان متغايران؟ وما أقسام القراءات من حيث القبول والرد؟

أ: يرى المتأخرون أن بينهما تغايرا كليا

ب: يرى بعض العلماء أن بينهما اتحاد كلي

ج: فصّل بعض أهل العلم بين القراءات المتواترة فجعلها قرآنا، وغير المتواترة فلم يجعلها قرآنا.

لـ القراءات قسمان:

1: المقبولة: وتجب توافر شروط فيها وهي:

← أن تكون القراءة متواترة ← أن توافق أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا

← أن توافق وجها من أوجه العربية

لـ وهذا القسم مجمع على كل مسلم اعتقاد قرآنيته والتعبد به في الصلوات وخارجها ويكفر جاحد حرف منه.

2: المردودة:

يطلق عليها الشاذة وهي التي اختل فيها أحد الشروط الثلاثة، ولا يجوز اعتقاد قرآنيتها ولا التعبد بها في الصلوات ويُعزّر من أصر على التعبد بها.

لـ إذن: القراءات غير القرآن وبينهما تغاير كلي.

Scanned by CamScanner

الأحد 08 شوال 1438

الفصل الثاني: القرآن الكريم قبل الجمع

المسألة الأولى: لماذا لم يُجمع القرآن بين دفتين زمن النبي صلى الله عليه وسلم؟

← نذكر من الأسباب ما يلي:

1/ التأمل لواقع الأمة إذ ذاك لوقت يرى اعتمادها المطلق على الحفظ في ضبط تواريخها وأيامها، أخبارها، ولم يقع ما يوجب العمل بهذا الضبط الكتابي لمجموع القرآن.

2/ الكتابة في المصحف تصالح لشيء فقد انتهى واستقر، والوحي في ذاك الزمان لم يكن قد نزل، وقد تتعرض بعض الآيات للنسخ

المسألة الثانية: هل كُتب شيء من القرآن زمن النبي صلى الله عليه وسلم؟

← دلت النصوص على وقوع كتابة القرآن زمن النبوة ووقع بعض ذلك بأمر النبي كما في حديث عثمان بن عفان والبراء رضي الله عنهم. ص 165.

← من أدلة ثبوت كتابة القرآن زمن النبوة: حديث أبي سعيد الخدري وابن عمر رضي الله عنهم ص 165-166.

المسألة الثالثة: هل هناك أثر للجمع زمن النبوة على الجمع الأول وما هو؟

← مرحلة الجمع هذه هي أحد العناصر التي أُسست عليها مرحلة الجمع الأول كما يدل عليه قول زيد بن ثابت 166

← هذا الجمع المكتوب المفرق كان أحد أساسين جُمع اعتمادا عليهما القرآن زمن أبي بكر رضي الله عنه.

فالمعتمد المكتوب إذا هو إحدى الشهادتين على قراءة الآية قبل اعتمادها.

← لما استحر القتل بالقراء فقال لعمر ابن الخطاب ولزيد ابن ثابت "اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه" ← الكلام لأبي بكر رضي الله عنه.

← اختلف العلماء في الشاهدين: ← ابن حجر الحفظ والكتابة

← السخاوي: رجلان عدلان

Scanned by CamScanner

لـ المسألة الرابعة: ما العالم الذي ميّز جمع الأول وما هي أبرز خصائصه؟

1: لم يكن جمعا للقرآن كله في مصحف واحد.

2: الأساس في الجمع الأول هو الحفظ، ولهذا أثّر فاعل في استحالة التحريف.

لـ طالع كلام ابن الجزري والعلمي ص 168.

3: تعدد المادة التي جمع فيها القرآن كالعسب واللّخاف

4: لم يوكل به واحدا أو جماعة، بل كان راجعا لاجتهاد كل صحابي.

لـ ذكر د. مساعد الطيار تسميتين غير ما سبق:

أ: قد يوجد من المكتوب ما تُرِكَت تلاوته في العرضة الأخيرة، وهذا الذي تُرِك سيَظهرُ لزيد والصحابة رضي الله عنهم فيما بعد عند جمع أبي بكر رضي الله عنه.

ب: القرآن الذي نقرأه كله كان مكتوبا في عهد النبي عليه الصلاة والسلام لم يكن منه شيء غير مكتوب ثم كُتِب بعد ذلك.

الفصل الثالث: الجمع الأول للقرآن في زمن أبي بكر رضي الله عنه:

لـ المسألة الأولى: ما النص المؤسس لجمع القرآن في زمان أبي بكر؟

لـ رواية زيد بن ثابت رضي الله عنه هي النص الأمّ وخرجه الإمام البخاري وأحمد رحمهم الله ص 170

لـ المسألة الثانية: ما سبب الجمع؟

لـ في رواية زيد رضي الله عنه تقدم أن القتل استحرّ في القراء يوم اليمامة وخشي استحرار القتل في القراء بعدها.

← التعليق على هذا الموضع من النص ينتظم في النقاط التالية:

لـ أوردنا سابقا أن حفظ القرآن في الصدور هو من خصائص الصحابة، وقد قُتِل المسلمون بمقتل 70 من القراء، ثم أتت الفاجعة الثانية باستشار القتل يوم اليمامة بين القراء وفي أخبار هذه المعركة يؤكد في رواية البخاري أن حاملي القرآن كانوا كثرا في الجيش. ص 171

لـ لا مجال للشك في أن مراد عمر رضي الله عنه هو جمع القرآن مسطورا مكتوبا

لـ من فوائد هذا النص أن عمر رضي الله عنه لم يتكل على تعهد الله سبحانه بحفظه دون أخذ الأسباب

Scanned by CamScanner

المسألة الثالثة: من لقائمة بهذا الجمع من الصحابة؟

ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله أنه زيد بن ثابت رضي الله عنه، وكان من علماء الصحابة.

كان شابا عاقل لا يُتهم في دينه، وكان حافظا للقرآن، وشهد العرضة الأخيرة

المسألة الخامسة: ما سبب تقديم زيد بن ثابت على عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما؟

ثبت بالأسانيد الصحيحة شهود عبد الله بن مسعود للعرضة الأخيرة، وهذا أقوى من طريق شهود زيد بن ثابت لها الذي لم نقف له على إسناد صحيح.

Scanned by CamScanner

المادة الثانية: مصادر التلقي الشرعي

← مباحث وفصول من كتاب تثبيت حجية السنة →

* أ. أحمد السيد *

لـ العناية بالركائز المؤسسة لحجية السنة أمر في غاية الأهمية، ولا يتم الاحتجاج على المخالف بردّ الشبه في هذا الباب بل لا بد من معرفة أصول القول بحجية السنة ودلائله.

لـ أهم الركائز في إثبات حجية السنة ما يلي:

← الركيزة الأولى: القرآن ← الركيزة الثانية: التواتر ← الركيزة الثالثة: الإجماع.

* دلائل القرآن على حجية السُّنة:

لـ أعظم ما يُنطلَق به لإثبات حجية السُّنة هو القرآن، ولا يكاد يخلو كتاب في هذا الباب من الاستشهاد بالآي على مكانة السنة وحجيتها.

لـ المتأمل لآي القرآن يرى إثبات حجية السنة بالاعتماد على معنيين شريفين فيهما الرد على من ينكر حجية السُّنة من أصلها أو من طريقة نقلها، ولا ينبغي الاقتصار على الاستدلال لمعنى واحد وإنما يجب التكامل بين المعنيين وهما:

← الأول: دلالة القرآن على أصل حجية السُّنة.

← الثاني: دلالة القرآن على دوام حجيتها.

لـ يمكن إثبات هذين المعنيين من خمسة طرق:

← الطريق الأول: دلالة الأوامر القرآنية العامة بطاعة النبي مع إطلاق الطاعة دون تقييد؛
← الطريق الثاني: دلالة القرآن على أن السنة وحي؛
← الطريق الثالث: دلالة القرآن على أن السنة بيان له؛
← الطريق الرابع: دلالة القرآن على حفظ السنة.
← الطريق الخامس: لزوم حفظ بيان القرآن

⇒ تعود إلى المعنى الأول

⇒ تعود إلى المعنى الثاني

Scanned by CamScanner

الطريق الأول: الأمر العام لجميع الأمة بطاعة الرسول مع إطلاق الطاعة دون تقييد:

← الاستدلال بهذا الطريق يُبنى على مقامات وهي:

المقام الأول: عموم الخطاب القرآني للأمة:

← وهذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، وهو أن القرآن أنزله الله حجة على جميع هذه الأمة لا على الأفراد الذين عاشوا في زمان النبوة فقط، وهذا لا ينازع فيه مسلم ولا كل من يستدل بالقرآن من منكري حجية السنة.

المقام الثاني: مجيء الأمر القرآني العام بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم:

← إذا تقرر المقام الأول فإن من المعلوم أن مما جاء فيه الأمر بطاعة الرسول واتباعه في غير ما موضع نحو: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ"

← وهذا الخطاب موجه إلينا من بعدنا كما قال ابن حزم رحمه الله ص 178 ← طبعة المعدلة الأخيرة ما

المقام الثالث: إطلاق لفظ الطاعة واتباع الرسول في آيات القرآن:

← يقصد بهذا أن أمر الله تعالى بطاعة رسوله لم تأت مقيدة بطاعته في أمر دون آخر، وسياق الآيات ودلالة الألفاظ يؤكد معنى الإطلاق خاصة وأن أمر الإطلاق قد تكرر كثيرا في القرآن وبألفاظ مختلفة نحو: "وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا" وغيرها من الآيات

← فلو أن إنسانا سمع نبي يأمره بأمر أو ينهاه عن أمر ثم يمتنع عن الطاعة بحجة أنه ليس من القرآن فلا ريب عند جميع الأمة أنه مخالف للآيات الواردة في هذا المعنى نحو: "وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ"

← لا فرق في هذا المقام بين من سمع نبي مباشرة وبين من جاءه الخبر عنه، لأن المنازعة هنا في دلالة الآيات على وجوب الطاعة المطلقة وليس في طريقة ثبوت هذا الأمر أو النهي

← إذا ثبتت المقامات السابقة، فإنه لا يمكننا احتمال فرض الله بطاعة رسوله إلا باتباع الأخبار الثابتة عنه كما قال الشافعي في كتابه "جماع العلم" ص 179

Scanned by CamScanner

المطلب الثاني: دلالة القرآن على أن السنة وحي:

لم يقر منكرو السنة على أن الوحي منحصر فيما جاء في نص القرآن، وأن ما يروى في كتب السنة لا يُصدق عليه أنه وحي من عند الله سبحانه وتعالى، وإنما هو من خرافات المحدثين وأساطير الأولين، ولكن المتأمل في نصوص القرآن يرى بوضوح أن الله قد أوحى لنبيه بأحكام وأخبار هي أعم مما ثبت في نص القرآن.

وهذه المسألة من شريف العلم ولأهل الحديث والتفسير والأصول كلام في تقرير هذا، وصنف الشيخ "خليل ملا خاطر" سفرا جامعا سماه "السنة وحي" وأيضا "الوحي الإلهي في السنة النبوية" لـ عمار حسين.

يمكن الاستدلال على أن السنة وحي بأدلة من القرآن والنقل المتواتر، ومما يجدر الإشارة إليه أنه ليس كل أفعال النبي وأقواله من الوحي، بل المقصود أن الوحي ليس منحصرا في النص القرآني، وأما أفعال النبي في أمر الدين والتعبد فهي على شقين:

- إما أن تكون وحيا؛
- إما أن تكون اجتهادا:
  - اجتهاد يقره الله تعالى عليه، كالسواك عند كل صلاة.
  - اجتهاد يصححه الله له كالاجتهاد في أسرى بدر، والتصحيح الإلهي وحي

والمراد بهذا هو التنبيه إلى أن عبارة "وجوه الاستدلال بالقرآن الكريم على أن السنة وحي" مجملة وهذا أوان عرضها:

- الوجه الأول: الإخبار بإنزال الحكمة المعطوفة على الكتاب؛
- الوجه الثاني: الإخبار بأن الله تكفل ببيان القرآن، وأخبر أن النبي يبين للناس ما نُزِّل إليهم.
- الوجه الثالث: نصوص قرآنية متعددة تدل على نزول الوحي على النبي في مقامات معينة بأحكام وأخبار ليست مذكورة في نص القرآن مثل:

1: دلالة آيات الإخبار بنزول الملائكة؛
2: دلالة آيات تحويل القبلة؛
3: دلالة آيات سرية التحريم؛
4: دلالة فتح مكة مع آيات تحريمها؛

Scanned by CamScanner

الوجه الأول: الإخبار بإنزال الحكمة المعطوفة على الكتاب:

لم تتكرر في الكتاب العزيز ذكر الحكمة في سياقات مختلفة، فتأتي مفردة تارة ومقرونة تارة أخرى بالكتاب أو الملك أو بآيات الله، ولا يوجد إشكال عند عامة المفسرين في تفسير الحكمة حسب موضعها وسياقها، فقد تفسّر بالنبوة، أو الفهم الصحيح، أو الفقه في الدين، أو بشيء من الوحي المنزل....

لم في كثير من المواضع عطف الله الكتاب بالحكمة، وذهب أكثر المفسرين من مختلف المذاهب الفقهية إلى أن الحكمة المعطوفة على الكتاب إذا كانت متعلقة بنبينا فالمراد بها سنته، وحكموا بذلك لدلالة العطف المقتضي للمغايرة، ولدلالة سياق بعض الآيات.

لم يُرجح هذا القول أنه قد ثبت بالتواتر المفيد للقطع أن النبي علم أصحابه كثيرا من أمور الدين مما لم يذكر في القرآن كصفة الصلوات الخمس ومواقيتها....

لم هذا التعليم من النبي موافق لما وصفه الله به من أنه يعلّم الأمة الكتاب والحكمة، وإذا كان قد علمنا قوله الكتاب فقد بقي أن نقول فيما علّمه أمته مما تواتر عنه من سنته أنه الحكمة.

لم وهذا جانب مهم في معرفة ما يثبت صحة استدلال المفسرين على أن الحكمة هي السنة، لأن كثيرا من محاور منكري السنة لا يكون لديهم استحضار للمآخذ التي يُثبت صحة هذا القول، وإنما قد يبنون على اتباع المفسرين على هذا المعنى. طالع كلام شيخ الإسلام ص 182

لم ظن بعض من لم يحرّر النظر أن تفسير الحكمة بهذا حادث في الإسلام وأن أول من قرّر هذا هو الشافعي رحمه الله، وأن المسلمين قبله لم يكونوا على هذا الفهم للقرآن ويرون أن تفسير الشافعي لهذا هو بداية انحراف للأمة، لهذا منكرو السنة يعادون الإمام الشافعي رحمه الله.

← عارض محمد شحرور تفسير الشافعي للحكمة بالسنة. طالع كلامه ص 182

لم تفسير الحكمة المعطوفة على الكتاب بالسنة سبق الشافعي فيه أئمة كبار من أهل العلم بالشرع وبلسان العرب

لم ذكر من العلماء ما أسنده الطبري عن قتادة رحمه الله والحسن وفقاتل بن حيان وأبو مالك وغيرهم

لم يعتبر الشافعي رحمه الله أشهر من قرّر هذا المعنى من المتقدمين وناظر فيه وجادل عنه.

← طالع نص محاورته مع أحد منكري السنة ص 183 - 184.

Scanned by CamScanner

لـ الوجه الثاني من دلالة القرآن على أن السنة وحيٌ :

← يُقصد بهذا الوجه بأن القرآن بيانا تكفل الله به ، وجعل هذا البيان على لسان نبيه ، وهذا البيان الثابت عن النبي ما لا يحتمل أن يكون محل اجتهاد منه كتحديد عدد الصلوات ومواقيتها :

← ومن قوله تعالى : " إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ "

لـ قال ابن كثير " ثم إن علينا بيانه " أي بعد حفظه وتلاوته نبينه لك وتوضحه وتلهمك معناه على ما أراد شرعنا "

لـ الوجه الثالث من دلالة القرآن على أن السنة وحيٌ :

← الآيات الدالة على نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم في مقامات معينة بأحكام وأخبار ليست مذكورة في نص القرآن .

← الاستدلال بهذه الآيات على درجتين : الأولى : عدم انحصار الوحي في القرآن وهذا مهم في الرد على المنكرين
الثانية : أن من السنة النبي ما هو وحي .

لـ الموضع الأول : دلالة آيات الإخبار بنزول الملائكة في بدر

لـ جاء في آل عمران أن النبي وعد الصحابة بإمداد الله لهم بـ 3000 من الملائكة منزلين فقال عز وجل :

" إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ "

لـ لا شك أن هذا الخبر من النبي لا يكون إلا بوحي ولا محل فيه للاجتهاد والتخمين

لـ الموضع الثاني : دلالة آيات تحويل القبلة :

كان النبي عليه الصلاة والسلام يتجه أول الإسلام في صلاته إلى الشام حتى بعد الهجرة مع تطلعه إلى أن تكون الكعبة قبلته ، والذي كان يمنعه من ذلك أنه مأمور بخلاف ذلك حتى نزل قوله عز وجل

" قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا " والقبلة التي يرضاها هي الكعبة .

" فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ "

لـ أين الأمر الإلهي له بالاستقبال للقبلة السابقة للكعبة ؟ ← هذا ليس مذكورا في القرآن

← دلالة على أن نزول الوحي على النبي ليس منحصرا في نص القرآني والله أعلم .

Scanned by CamScanner

لـ الموضع الثالث : دلالة آيات سورة التحريم

← قال تعالى : "وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا ..... العليم الخبير"

لـ موضع الشاهد قوله تعالى : "وأظهره الله عليه" وقوله تعالى : "قال نبأني العليم الخبير"

ومن المعلوم أن إنباء الله نبيه بالوحي بما نبأت به زوجته ليس مذكورا في نص القرآن ← الوحي أوسع مما حفظ بين الدفتين.

لـ الموضع الرابع : دلالة فتح مكة مع آيات تحريمها

لـ حرم الله مكة وجعلها آمنة وذكر هذا في القرآن "إنما أمرت أن أعبد ..... من المسلمين"

وتواترت الأخبار أن النبي حارم مكة بجيشه وسلاحه بعد نقض المشركين للعهد ثم فتحها

وتواترت الأخبار أنه قال يوم فتحها "إن الله قد أحلها لي ساعة من نهار" وأثنى الله على هذا الفتح

لـ أين ورد الإذن من الله لنبيه بفتح مكة بالسلاح بعد أن نص سبحانه على تحريمها في القرآن ؟

لـ ليس مذكورا في القرآن ← الوحي أعم من حصره في القرآن فقط .

لـ الطريق الثالث : دلالة على أن الرسول مبين له :

لـ لم يختلف علماء المسلمين في أن النبي بين آيات القرآن إما من جهة تبليغ ألفاظه وإما من جهة تفصيل المجمل وإيضاح المشكل كما أكد ذلك ابن حزم رحمه الله ص 190

وإثبات هذا مبني على أصول :

← الأصل الأول :

لـ تكفل الله ببيان القرآن "ثم إن علينا بيانه" وأخبر عز وجل بأن ذلك سيكون على لسان النبي "وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم"

← الأصل الثاني :

لـ القرآن فيه أوامر مجملة لا يمكن امتثالها إلا بمعرفة بيان النبي صلى الله عليه وسلم فيها مثل "وأقيموا الصلاة" فنحن لا نعلم صفة الحج أو العمرة أو الصلاة ، فنظرنا في القرآن فوجدنا الأمر باتباع الرسول ، وعلمنا أننا محتاجون إلى بيان النبي

Scanned by CamScanner

← الأصل الثالث:

- التواتر عن النبي بأنه قام ببيان كثير مما أُجمل في القرآن كالصلاة والحج

التكامل بين النصوص الثلاثة:

- إن النظر في الأصول الثلاثة مجتمعة، ينفي كل شبهة على تبيين النبي للقرآن وهذا من باب الكمال، وإلا فإن كل أصل على حدى دال على أن السنة مبينة للقرآن.

- قد يستغل بعض الخالفين أقوال بعض المفسرين في تفاسيرهم لآيتي "القيامة" و"النحل" على بيان البلاغ فينبني بذلك أصل بيان الرسول لمجملات القرآن وهذا استدلال خاطئ

- أحدث بعض منكري السنة الشقاق في كون الرسول مبين لمجملات القرآن، وأنكروا ما ثبت عنه بالتواتر من قيامه بذلك، حتى ادعوا أن النبي كان يصلي ثلاث صلوات لا خمسا ورد والتواتر العملي

- وأما دلالة قوله تعالى: "ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ" فجماهير المفسرين يذكرون بيان المعنى في تفسيرهم لهذه الآية.

- وقد اجتهد الشيخ "خليل ملا خاطر" في وجه الدلالة في هذه الآية على أن المقصود بهذا البيان هو بيان السنة للقرآن أي بيان المعنى وتفصيل المجمل

- وأما دلالة قوله تعالى: "وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" فالتبيين هنا فيه قولين:

← منهم من حمله على تبيين المعنى وتفصيل المجمل وبيان ما أشكل كالبغوي والرازي وابن كثير والبقاعي.

← منهم من ذكر الاحتمالين (اللفظ والمعنى) كالبيضاوي وأبي حيان وابن عطية وغيرهم.

الطريق الرابع: دلالة القرآن على حفظ السنة:

- سبق الذكر على أن دلائل القرآن على حجية السنة لا تقتصر على إثبات أصل حجيتها فقط، وإنما استمرارية الحجية كذلك، ولا يقل إثبات حجيتها أهمية عن أصلها

- منازعة كثير من المشككين إنما هو في قضية حفظ السنة والثقة فيها لا في أصل الاحتجاج بها.

Scanned by CamScanner

لـ إذا أقر المنكرون بدلالة الآيات طاعة الرسول على حجية سنته، ثم نازع في حفظها، حاججناه بدلائل دوام الحجية، والقرآن خير دليل على دلالة على معاني الحفظ ودوام حاجة العموم للسنة.

سـ الدليل الأول:

"يا أيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ..... وأحسن تأويلا"

لـ وجه الدلالة مجملا:

سـ الخطاب في الآية عام لأهل الإيمان مجملا برد نزاعاتهم إلى الكتاب والسنة، ولا يتم العمل بها إلا إذا كان الكتاب والسنة محفوظين.

* إثبات وجه الدلالة *

(أ) * إثبات عموم الآية

(ب) * إثبات شمول قول الله "فردوه إلى الله والرسول" إلى الكتاب والسنة

(ج) * إثبات احتياج عموم أهل الإيمان في كل الأزمان للكتاب والسنة في فصل النزاعات

أولا: إثبات عموم الآية:

والمقصود بعمومها باعتبار المخاطبين ويمكن إثبات ذلك بطرق:

لـ منها:

سـ الآية محددة بخطاب الله للذين ءامنوا، فتشمل كل من وصف بالإيمان إلى يوم القيامة حتى يقوم الدليل على التخصيص وإخراج من لم يعاصر زمن الخطاب من أهل الإيمان، خصوصا "الذين" من ألفاظ العموم كما يقرره الأصوليون، ولا دليل للتخصيص في هذه الآية.

سـ الإجماع: فقد نقل غير واحد من أهل العلم الإجماع على أن هذه الآية عامة، ومن أشهرهم ابن حزم

ثانيا: إثبات شمول قول الله "فردوه إلى الله والرسول" للكتاب والسنة:

لـ تكرار فعل الأمر "وأطيعوه" يعطي مزيد معنى لأمر الرسول وهيبة وخصوص اهتمام به، طالع كلام ابن عاشور في هذا

Scanned by CamScanner

← أمر الله في الآية بالردّ إليه وإلى رسوله عند وجود النزاع، ومن المعلوم أننا لا نستطيع الردّ إلى الله صباشرة، لأنه لن يوحي لأحدنا بالفصل فيما نتنازع فيه، فيكون المراد -إذًا- بالرد إلى الله هو الرد إلى كتابه

← إذا كان الأمر كذلك فيكون المراد بالرد إلى الرسول الرد إلى قضائه وحكمه مع حكم الكتاب وفصله لا أن يكون المراد به نفس ما أريد بلفظ الرد إلى الله دون أي معنى يختص به، وهذا الحكم والقضاء قد يُسمع من النبي صباشرة لمن عاصره وقد يبلّغ الغائب بواسطة

← ومنها: الإجماع

طالع كلام عبد العزيز الكناني وابن القيم رحمهما الله في هذا.

ثالثا: إثبات احتياج عموم أهل الإيمان في كل الأزمان للكتاب والسنة في فصل النزاعات:

← علقت الآية الأمر بالردّ إلى الكتاب والسنة على أمر يجدد في كل حين بين الناس وهو التنازع بينهم، وهذا الرد شرط للإيمان وعلامة، وهذا الرد مجمد العاقبة.

← الدليل الثاني:

قال الله عز وجل: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"

طالع ما كتبته لأستاذ وفقه الله في هذا (ص 131 من الطبعة الأخيرة المعدلة) ولم أورد التلخيص حتى لا أطالة، أيضا الدليل الثالث ص 132-

← الطريق الخاص: لزوم حفظ بيان القرآن:

← سبق معنا أنه يتعذر العمل ببعض ما أمر الله في كتابه دون الرجوع إلى سنة نبيه، وإذا كان أمر السنة كذلك فإن تمام حفظ القرآن لا يتحقق إلا بحفظ بيانه

← وانظر إلى فعل النبي في الصلوات ومناسك الحج وغيرها.

Scanned by CamScanner

الركيزة الثانية من ركائز حجية السنة: التواتر

← إثبات صحة ما قاله النبي "نهضًا" في شأن لزوم اتباع سنته يتطلب علمًا خاصًا بالرواة والأسانيد وقوانين علم الحديث، بيد أنه توجد أمور كثيرة ثبتت عنه بنقل متواتر لا يتطلب ذلك العلم الخاص كوقوفه بعرفه وصلواته الخمس وغيرهما. طالع كلام ابن حزم والغزالي رحمهما الله في هذا ص 136.

لـ التواتر الذي نعنيه هنا هو "التواتر المعنوي" وهو ما يُسميه المتأخرون بهذا، وإن كان قد يسبق عند بعض من تقدم منهم تواتر لفظيًا.

← التواتر من طريق اللفظ: مثل الخبر بخروج النبي من مكة إلى المدينة، وما روي من عدد الصلوات وغيرها.

← التواتر المعنوي: أن يروي جماعة كثيرون يقع العلم بخبرهم كل واحد منهم حكاية غير الذي يرويه صاحبه إلا أن الجميع يتضمن معنى واحدًا فيكون ذلك المعنى بمنزلة ما تواتر به الخبر لفظًا.

مثل خبر الآحاد.

أنواع الأخبار المتواترة المثبتة لحجية السنة ومكانتها في الإسلام

← النوع الأول: تواتر أخبار الغيب عن النبي صلى الله عليه وسلم

لـ اعتنى علماء المسلمين بتدوين الأخبار الغيبية التي ذكرها النبي وجعلوها من أهم دلائل نبوته، ولا ينازع أحد من أهل العلم بالأخبار والسير في وقوع ذلك.

← وجه دلالة أحاديث الغيب على حجية السنة:

لـ أخبر الله في القرآن أنه عالم الغيب وحده، وأنه لا يُطلع على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسول؛ فعُلم بذلك أن هذا وحي من الله سبحانه وتعالى، وليس هذا الوحي مما ذُكر في نص القرآن.

لـ منكرو السنة يستدلون بوجود أخبار الغيب في كتب الحديث على إبطال السنة، ويبين على كونها وحيًا، ويقولون أن الله ذكر في القرآن أن لا أحد يعلم الغيب إلا هو، ويذكر أهل السنة عن النبي أنه يعلم الغيب لأحاديث الأخبار الغيبية التي يرونها في كتبهم وبالتالي فالسنة باطلة، و.

لـ هذا استدلال فاسد، فالله أثبت في القرآن اطلاع رسله على الغيب لكن ليس جميعه، فإن من الغيب ما اختص به الله.

Scanned by CamScanner

← النوع الثاني: تواتر الأحاديث القدسية عن النبي صلى الله عليه وسلم التي ينسب فيها كلاما لله سبحانه ليس مذكورا في القرآن:

له عُبِّرَ عن الأحاديث القدسية بـ "قال الله تعالى" أو يقول فيما يرويه عن ربه عز وجل"

وجمعها الشيخ مصطفى العدوي إلى 185 حديثا قدسيا، والاستدلال هنا ليس بأفراد الأحاديث

وإنما مجموعها الذي يفيد التواتر المعنوي.

← وجه الدلالة منها على كون السنة وحيا ظاهرا، إذ لا سبيل إلى معرفة ما قاله الله إلا بالوحي.

له الركن الثالث: الإجماع:

له من المعلوم قطعا من جهة النقل تواتر أن أصحاب النبي بعد موته كانوا يقضون أمام الملأ بسنته وصدروا في الحدود وغيرها، ولا ينكر بعضهم على بعض، وهذا تواتر نوائر معنويا

له ودونك بعض النقولات المثبتة للإجماع على حجية السنة:

طالعها ص 141 - 142.

Scanned by CamScanner

* حجية الإجماع *

-- د: عامر بلهجت -->

لـ مقدمات:

← حجية الإجماع جاءت من الكتاب والسنة

← الإجماع لا يكون إلا مستند من الكتاب والسنة أو فهم القرآن والسنة والقياس عليهما

سؤال:

لـ إذا كان الإجماع موجود في الكتاب والسنة فما حاجتنا إليه؟

الجواب:

← ١: فهم القرآن والسنة: إذا كانت الآية من جهة اللغة قد تحتمل عدة احتمالات، فإن الإجماع يجعل إحدى هذه الاحتمالات باطلا قطعا، وربما يجعلها هو الصواب بمحض اتفاق الإجماع العلماء عليها.

لـ ذكر الله تعالى في دقيقة 15:5 أهمية الإجماع مثل تحريم الزنا.

لـ قال د: حسن إسلامية: الكتاب والسنة حصن، والسور هو الإجماع وبوابتاه أصول الفقه وعلوم الحديث.

لـ لماذا الحرب على الإجماع؟

← ١: لأن اختراق الإجماع يتقبله الناس، ولكن لا يتقبلون أن تقول أن القرآن ليس بحجة فهذا كفر وردة لكن وراء إسقاط الإجماع إسقاط الاستدلال بالكتاب والسنة.

تعريف الإجماع:

لـ هو اتفاق أهل العلم في مسألة من المسائل الشرعية

حجية الإجماع من القرآن

١: قول الله تعالى: "ومن يشاقق الرسول ... وساءت مصيرا" وهي أوضح آية على حجية الإجماع

لـ دلالة الآية على حجية الإجماع:

← الوعيد الشديد "توله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا" لمن تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين والشاهد "ويتبع غير سبيل المؤمنين"

← احتج على هذه الآية أهل البدعة (ممن خالف الإجماع) من بعض المعتزلة، لأن الإجماع قال به كل العلماء من الصحابة والتابعين وأهل العلم، ثم نبتة نبتة ممن يقدمون العقل على النقل، فوجدوا أن أكبر مشكلة واجهتهم "الإجماع" لأن الآيات والأحاديث يستطيعون أن يتأولوها، فوقف في وجه الإجماع، فبدأوا يتأولون هذه الآية وأنها لا تدل على حجية الإجماع.

Scanned by CamScanner

- قال الله تعالى: "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر"

له تدل هذه الآية على خيرية الأمة، وذكر بعدها أن هذه الأمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وإذا وجد منكر اتفقت عليه الأمة، فهذا يناقض دلالة الآية

له لا يوجد منكر تتفق الأمة على عدم إنكاره فضلا عن وجود منكر تتفق الأمة على مشروعية

- 3: "وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى..."

له الأدلة من السنة:

1- قول النبي: "لا تجتمع أمتي على ضلالة":

هذا نص في حجية الإجماع، لأن الشيء إذا كان حراما وقال الناس قالوا حلال فهذا ضلال، وهذا غير ممكن

2- قول النبي: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة":

يبين النبي هنا أن هذه الأمة لا يمكن أبدا أن تكون على غير الحق، فلابد في كل زمان أن تكون الأمة ظاهرين على الحق

له الأدلة من السنة بعضها صحيح وبعضها حسن، وبعضها فيه شيء من الضعف، وإن كان كل واحد منها هو خبر آحاد، لكنها بمجموعها تدل على هذا المعنى تواترا معنويا.

له الأدلة العقلية:

- العقل بعدم حجية الإجماع ترك للعقل، ومصادمة له، فلا يأتي شخص ويقول أن ضلالة الصحابة، ولنا يقين خطأ

له قضية الإجماع فيها ارتباط بقضيتين لتواتر، لماذا؟

- توجد كثير من المسائل الشرعية تلقاها المسلمون جيلا بعد جيل يكون فيها الإجماع قائما مقام النقل المتواتر مثل صفة الصلاة مثلا فيها إجماع الأمة جيلا بعد جيل، وهذا تواتر ويقوم مقام النقل المتواتر القطعي.

له أيضا نزول القرآن على النبي والصحابة عاصروا التنزيل وفهموه وكلامهم حجة في اللغة فلا يأتي أحدهم ويقول قول الصحابة خطأ

له هل الإجماع ممكن؟

- إمكان الإجماع:

قضية مسلمة: ← الإجماع المعتبر لأهل العلم وليس إجماع الجاهل

له مصادر الدين معروفة (كتاب وسنة)، فمن الممكن أن يجمع العلماء على حكم كوجوب الصلاة.

- هل يمكن وقوع الإجماع

- كتاب نافع ومهم في حجية الإجماع: الإجماع: حقيقته وأركانه وشروطه وإمكانه وحجيته وبعض أحكامه

د. يعقوب باحسين.

Scanned by CamScanner

المبحث الأول: مفهوم الإجماع عند السلف:

بعد التتبع والاستقراء إذا أطلق السلف لفظ الإجماع فإنهم يقصدون:

الأمر الأول: المعلوم من الدين بالضرورة:

يطلق السلف الإجماع، ويريدون به ما علم من الدين بالضرورة نحو إجماعهم على أن الظهر 4 ركعات، وحج البيت، وتحريم الخمر.

يلحق بهذا ما نقل إلينا نقلا متواترا، ومن ذلك عموم رسالته، وأنه مبعوث إلى جميع الناس وإلى الثقلين، الإنس والجن، وغير هذا، وأشار إلى هذا النوع من الإجماع الإمام الشافعي رحمه الله ص145

مما يجب العلم به أن هذا النوع من الإجماع متفق عليه بين المسلمين ويمتاز بأمور منها:

1: هذا الإجماع تعرفه العامة والخاصة، ولا يسع أحدا جهله لظهوره وتعلق الناس به

2: مستند هذا الإجماع ظاهر ومتواتر. طالع قول شيخ الإسلام ص 145.

3: مخالف الإجماع يكفر، لأنه خالف أمرا معلوما من الدين بالضرورة، وأشار إلى هذا شيخ الإسلام ص145.

الأمر الثاني: الإجماع الاستقرائي والإقراري:

الإجماع الاستقرائي: أن يستقرئ أقوال العلماء، فلا يجد في ذلك خلافا، أو يشتهر القول في القرآن ولا يعلم أحدا أنكره.

الإجماع الإقراري: أن يشتهر القول أو الفعل من البعض فيسكت الباقون عن إنكاره.

لا فرق بين الإجماعين غير أن الأول يشعر بمزيد من البحث والتنقيب والتتبع لأقوال العلماء مالا يشعر الثاني

هذا النوع من الإجماع هو الذي يستعمله العلماء كثيرا عند الإطلاق مثل الإجماع لابن المنذر ولابن قطان..

طالع كلام الإمام الشافعي وأحمد في هذا ص148

دل على هذا النوع كلام السلف المتقدم، قد شهد له عملهم وفتياهم حين يحكون الإجماع

Scanned by CamScanner

لـ يجب التنبيه على أن بناقل هذا الإجماع لا بد له من الإحاطة بأقوال العلماء وخبرة بمدارك الإجماع

لـ حيث يحكي السلف الإجماع على عدد من المسائل الكثيرة، لم تكن حكايتهم نتاج تجميع لأقوال العلماء المعاصرين لهم

وهو ما يتم في الإجماع المنطقي الكلي، وإنما هو نتيجة استقراء وتتبع لأقوال العلماء الذين تكلموا فيها.

← الإشكال الموجه:

المشهور عند علماء الأصول أن الإجماع السكوتي حجة ظنية، فكيف تجعل إجماعات السلف من قبيل الحجج الظنية، وهذا توهين لإجماعهم؟

لـ الجواب: يحصل من عدة وجوه:

← الوجه الأول:

لـ يجب أن يُعلم أن كون الدليل من الأمور الظنية أو القطعية أمر نسبي، يختلف باختلاف المدرك المستدل والمبين هو صفة للدليل نفسه، إذًا فلا يكون القطع والظن صفة لدليل معين لا تنفك عنه ولا ينتقل منه

← الوجه الثاني:

لـ لا يمكن القول بأن الإجماع الإقراري والاستقرائي هو حجة ظنية بالإطلاق، بل الصحيح أنه يتراوح بين الظن والقطع، بحسب ما يحتف به من قرائن وأحوال مصاحبة له، طالع كلام ابن تيمية ص 159.

← الوجه الثالث:

مشهور القول بأن الإجماع الإقراري والاستقرائي حجة ظنية موجودة في كتب أصول الفقه، وهذه تعنى بأدلة المسائل الفقهية، وإذا كان الأمر كذلك فكثيرا ما يحتج بهذين النوعين من الإجماع على مسائل فرعية دقيقة من الصعوبة أن يقطع فيها بعدم المخالف، فكان إطلاقهم القول بظنيته باعتبار الغالب

← الوجه الرابع:

إذا كان الظن والقطع ليس وصفا ثابتا للإجماع، فأقول - والله تعالى أعلم - إن الإجماعات المنقولة على مسائل الاعتقاد عند السلف كلها إجماعات قطعية وذلك لاعتبارات منها:

Scanned by CamScanner

1: مستند هذه الإجماعات مستند ظاهر بيّن محكم، وكثير من المسائل العقدية صيغت على الحرف القرآني والحرف النبوي، وهذا أعلاها قوة وهيبة.

2: علماء السلف الذين نقلوا هذه العقائد وحكوا الإجماع عليها كان كثير منهم بل كلهم أئمة في الحديث والرواية

3: عُرف عن السلف شدة الإنكار على أهل البدع وعدم السكوت عنهم

4: بعض علماء الأصول ذهب إلى أن الإجماع السكوتي حجة قاطعة في الاعتقادات دون الأحكام، لأنه يجب الإنكار في الأولى دون الثانية، فيكون السكوت دليل على الرضا

5: لم يختلف السلف في مسائل أصول الدين ومفهوم المخالفة يدل على اتفاقهم فيها.

6: عقيدة أهل السنة قديمة قدم الإسلام وهي متصلة السند إلى النبي، وما حدث من الانحرافات مجرد طارئ وحادث

المبحث الثاني: منزلة الإجماع عند السلف:

1: الإجماع هو واحد من الأدلة التي يُستدل بها ويُعتمد عليها بالاتفاق كما قرر ذلك ابن حزم رحمه الله ص153.

وعظّم السلف أمر الإجماع، ويتجلى ذلك في:

1: الإجماع مظهر من مظاهر الجماعة، وعنوان عليها، لأنه يحقق وحدة الجماعة، والشرع حث على الاجتماع، وجاءت النصوص من الكتاب والسنة مقررة ذلك.

2: عمل السلف رحمهم الله بالإجماع واستدلوا به وهذا أمر ظاهر بيّن، وخبر تشهد العاصي مع عمر رضي الله عنه وخبر ابن مسعود رضي الله عنه دليل على هذا.

3: الإجماع أصبح شعارا ولقبا يُطلق عليهم فيقال "أهل السنة والجماعة"

4: اشتد نكير السلف على من خالف الإجماع القطعي، وفي هذا دليل على علو منزلة الإجماع في قلوبهم

المبحث الثالث: حجية الإجماع في مسائل الاعتقاد عند السلف:

1: كان السلف رحمهم الله لا يفرقون في الاستدلال على المسائل بين أن تكون علمية أو عملية، من مسائل الأصول كانت أو من الفروع

2: قول السلف "كتاب وسنة وإجماع" يقصدون جميع أمور الشرع: عقائد وأحكام وأخلاق.

Scanned by CamScanner

له ومع هذا ورد عن السلف تأصيل وتطبيق على ما يدل على احتجاجهم بالإجماع في مسائل الاعتقاد.

← من جهة التأصيل:

له طالع كلام الأئمة الأعلام في هذا ص 158

له يقول المؤلف وفقه الله: "... أكاد أجزم أنه قلما يخلوا مؤلف من مؤلفات السلف في الاعتقاد إلا وفيه الاستدلال بالإجماع على مسألة عقدية ..."

* مباحث وفصول من كتاب حجية الإجماع *

— د. نعمان السرميني —

له الفصل الأول: إمكان انعقاد الإجماع:

له معظم المؤلفين يعالجون هذا الموضوع بطريقة استعراض حجج المنكرين ثم ردها وبيان بطلانها، لأن إمكانية الإجماع ظاهرة وبينة، والأصل في الأشياء الإمكان وعلى من يدعي خلاف الأصل أن يأتي بالدليل، كما قرر هذا حجة الإسلام الغزالي رحمه الله وابن قدامة المقدسي رحمه الله ص 160

له أما المؤلف وفقه الله فقد قرر السلف من إمكان الإجماع وأتى بالأمثلة الغزيرة الجليلة في هذا الباب ولم أر من ردها فخافة الإطالة طالع ص 161 - 162

له كان الصحابة بعد النبي يجتهدون في المسائل التي تعرض لهم، وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يستشيران في الأمور التي لا نص فيها من كتاب وسنة، فالإجماع واقع فعلا، وأجمع الصحابة في أمور كثيرة.

← أدلة المنكرين لثبوت الإجماع في نفسه ومناقشتها:

له قالوا إن الإجماع مستحيل عادة وبيان ذلك من وجهين:

← الوجه الأول:

إن الإجماع إذا كان عبارة عن اتفاق المجتهدين، فإن تفرقهم في الأمصار، يؤدي لامتناع نقل حكم واحد إليهم، وعلى هذا فيمتنع اتفاقهم

← جوابه:

له منقوض بإجماع الصحابة، لاجتماعهم عندئذ، وفي ذلك إبطال لما قالوا.

Scanned by CamScanner

لـ بيانه:

لـ حسب علم المنطق فإن الكلية السالبة تنتقض بالجزئية الموجبة . ومفاد كلام المعارضين أنه لا يوجد إجماع وهذا هو الكلية السالبة ، وما أجيب به مفاده أنه يمكن أن يوجد إجماع وهذا إيجاب جزئي يناقض السلب الكلي . فالأدلة قائمة على حصول الإجماع وتحققه في عهد الصحابة .

لـ الوجه الثاني:

لـ لو كان هناك إجماع فيستلزم أن يكون له دليل وهذا الأخير إما أن يكون قطعيا أو ظنيا ، وكلاهما لا يتحقق به الإجماع .

* إن كان الدليل قطعيا:

لـ فالعادة تحيل عدم العلم به والاطلاع عليه ، لأنه بطبيعته ما تتوافر الدواعي للعلم به ، ولا سيما باعتبار الحق وصف الاجتهاد في المجمعين يستلزم تقصيهم في البحث والتفتيش ، ويجب أن يكونوا مطلعين على هذا الدليل وحينئذ يستغنى به عن الإجماع .

* إن كان الدليل ظنيا:

لـ فمحله بطبيعته محل الاجتهاد ، وموضع الاختلاف ، فربّ خفي عند واحد ظاهر عند آخر إذًا الإجماع لا يتصور و مستحيل حدوثه

لـ جوابه:

لـ 1 العادة لا تحيل عدم النقل القطعي والاطلاع عليه ، لأنه لا يجب نقله عادة ، إذ قد يستغنى عن نقله بحصول الإجماع الذي هو أقوى منه

لـ ولا نسلم بأنه يستغنى بالدليل القطعي عن الإجماع ، إذ لا مانع من اجتماع دليلين على مدلول واحد.

لـ فائدة الإجماع المستند على الدليل القطعي هي سقوط البحث عن هذا الدليل ، وعن كيفية دلالته على الحكم ، وحرمة المخالفة بعد انعقاد الإجماع على مقتضاه ، وقد كانت جائزة من قبل .

لـ أما الدليل الظني فاختلاف القرائح إنما يمنع من الكفاف فيما هو خفي من الظن ، لا فيما هو جلي منه بحيث لا يختلفون فيه ، بل يؤدي اجتهاد الكل بالنظر فيه إلى حكم واحد

Scanned by CamScanner

الفصل الثاني: إمكان معرفة وقوع الإجماع:

- يقول المنكرون: لو سلّمنا بإمكان الإجماع، فلا نسلم بإمكان معرفة وقوعه، فهو مستحيل
- بيان ذلك - كما يقولون - أن ثبوته عند المجتهدين يتوقف على ثلاثة أمور:

1: معرفة أشخاصهم وأعيانهم 2: معرفة ما غلب على ظنهم 3: معرفة اجتماعهم عليه في وقت واحد.

- الأول: معرفة أشخاصهم:

محذور غير ممكن لعدة أسباب:

1: انتشارهم وتفرقهم في الأرض، فعلماء البشر لا يعرفون علماء الغرب

- رد هذا:

هذه الشبهة غير متحققة في إجماع الصحابة، فالثابت أنهم كانوا قليلين محصورين ومشهورين واجتمعوا في الحجاز خصوصا، ومن غادر البلاد كان موضعه معلوم غير مجهول

- طالع رد العلماء على هذا إلى غاية الصفحة 170.

- الثاني: معرفة ما غلب على ظنهم فيمتنع ثبوت الإجماع لاحتمال أن منهم:

1: احتمال كذب أحدهم فيفتي بخلاف ما يعتقده خوفا من سلطان جائر مثلا

2: احتمال عدم اجتهاده، أو لالتباس الأمر عليه

- الجواب:

1: لم يخف عن الصحابة تركهم قول خوفا من سلطان وأخبارهم في هذا شائعة

2: لا يرد احتمال عدم اجتهاد أحدهم، وهو يعلم أنه لا عبرة للسكوت في موطن البيان، ولا يرد احتمال التباس الأمر عليه ما دامت دلائل المعرفة حاضرة

- الثالث: استحالة معرفة اجتماعهم على الحكم في وقت واحد، فإنهم يقولون يحتمل رجوع أحد المجتهدين عن رأيه قبل تقرر الإجماع

- الجواب:

لو رجع المجتهد عن رأيه لعلم واشتهر، وظهر اشتهار قوله الأول مع جهالته، بل العادة أن المخالف يكون حظه من الشهرة أكثر.

- إذا لا استحالة في معرفة المجتهدين وأقوالهم والوقت الذي يتفقون فيه

Scanned by CamScanner

* المادة الثالثة - منهج الاستدلال *

عند أهل السنة والجماعة

← منهج الاستدلال عند أهل السنة والجماعة ←

* أ. المهندس: عبد الله الجبري *

ل مقدمات:

← جاء في الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: "كنا جلوسا ننتظر رسول الله، فخرج علينا من بعض بيوت نسائه ..." رواه الإمام أحمد في الفضائل وفي مسنده والحاكم في مستدركه

ل يقدم النبي في هذا الحديث نبوءة صادقة لانتقال مركز الصراع المتعلق بالوحي من منطقة تنزل القرآن إلى منطقة تأويل الوحي.

ل النبي في زمانه كان في صراع وجهاد مع الكفار لإثبات أن هذا القرآن وحيٌ، وتنبأ النبي بحالة مستقبلية ليست في التنزيل وإنما في التأويل وفي قراءة النص الشرعي وفهمه.

ل موضوع المحاضرة:

معالجة ما يتعلق بمنطقة التأويل ومحاولة لفهم خطاب الله عز وجل ونبيه.

← لم يكن مقصود الله عز وجل في قضية التفاعل مع القرآن هو التفاعل معه كيفما شاء الفرد وإنما هناك ضوابط ومعايير يتحقق بها الفهم الصحيح للوحي

ل جاء في بعض الأحاديث وفي سندها نظر "من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ"

ومعناه إذا نظر الإنسان في القرآن ولكن منهجية تلقيه وفهمه لم تكن شرعية صحيحة حتى ولو أصاب الحق لكنه لم يصب المنهج، لأن اختفاء الشريعة بطريق الوصول للحق أبلغ وأعظم من اختفائها بإصابة الحق في نفس الأمر.

ل نستخلص من هذا أن قراءة الوحي ليس محض عبث وليست هو كلة لفهوم البشر بقدر ما هي أصول وضوابط وثمة جزء لا يأس به من خطاب الشريعة هو محل اتفاق بين كل من نظر في الكتاب والسنة

ل لما لخص كلام ابن القيم والشاطبي رحمهما الله في هذا وبين أن سوء الفهم هو أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام.

Scanned by CamScanner

- مقدمات ضرورية ومسائل أولية:

- المسألة الأولى:

- وجوب تجريد الهوى للنفس في العملية الاستدلالية، وأن يتطلب الإنسان مراد الله عز وجل، وألف الإمام العلامة البيجاني في كتابه "قلائد إلى تصحيح العقائد" وتكلم عن نوازع النفس وما الذي يجعل الناس على الإقبال والإعراض عن الحق.

- ذكر مؤلف وفقه الله سيرة الإمامين الشافعي وابن سلام رحمهما الله في هذا.

- المسألة الثانية: ضرورة تعظيم الدليل والإذعان لدلالته والتسليم له:

- يعني: تحقق عبودية الانقياد للوحي إنما يتشكل في ضوء تعظيم هذا الوحي، والفارق الموضوعي بين أجيال المسلمين التالية وجيل الصحابة هو التعظيم والتسليم للوحي

- المسألة الثالثة: صدق اللجوء إلى الله تبارك وتعالى وتطلب هدايته:

- وهذه القضية تشغل فقر الإنسان في مقابل كمال علم الله تبارك وتعالى، ولذا وردت عدة أحاديث عن النبي في هذا مثل: "يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم" وغيرها من الأحاديث.

وأورد المهندس الحجيري بدائع الكلام عن الإمامين ابن القيم وشيخ الإسلام رحمهما الله

- قواعد منهج الاستدلال:

- إذا أردنا فهم منهج أهل السنة والجماعة فسنراه يدخل في بوابتين أساسيتين:

- الباب الأول: الباب الثاني:

- ما يتعلق بقضايا المسائل ← ما يتعلق بقضية الدلائل.

- منهج أهل السنة والجماعة عبارة عن مسائل معينة، منظومة عقدية بينها أهل السنة والجماعة، ومنهجية استدلالية معينة ولدت هذه الرؤية، والتركيز على هذا العامل المنهجي هو الذي ولد حالة من التوافق العقدي عند صحابة النبي، ويقول شيخ الإسلام "والصحابة لم ينازعوا فيما بعد ذلك - يعني في الفقهيات - ولم يتنازعوا في العقائد"

- سلوك أهل السنة والجماعة لهذا المنهج التشريعي في النظر والنظر في الكتاب والسنة ولد حالة من حالات التوافق العام في الإطار السني.

Scanned by CamScanner

القاعدة الأولى: من قواعد أهل السنة والجماعة في مجال التلقي والاستدلال (تطلب مراد المتكلم):

- أحد المعايير المنهجية المحددة لرؤية أهل السنة والجماعة في التفاعل مع النص الشرعي هو أن يتطلب طالب العلم إثبات مراد الله عز وجل ومراد نبيه صلى الله عليه وسلم من الخطاب
- هذه القضية فرع عن مقام خطابي أصلي وهي تطلب مراد المتكلم حتى في أصول المخاطبات، يعني غرض المخاطبة بين الناس هو إبراز المعنى المضمر بكلام معين حتى يستوعب السامع ما يراد قوله.
- المدافع إلى الكلام عن هذه المسألة هو إشكالية تغييب قضية تطلب مراد الله عز وجل، بحيث يتفاعل الإنسان مع الكتاب والسنة في ضوء منهجيات أجنبية غريبة.
- ينشأ من هذا الكلام فكرة إعادة قراءة النص ونقدها والنص المفتوح ويقصدون أيضا أن النص بمجرد ما يخرج من قائله فإنه لا يعود ملكا له وإنما المتلقي والقارئ ويفهمه كيفما شاء ولكن الله أنزل القرآن هداية للناس لما تقتضيه الحكمة الإلهية لا ما تقتضيه فهومات البشر وهذا هو التجلي الحديث.
- التجلي الخفي يأتي في ضوء تحيزات معرفية مسبقة ومن أشهر تجليات هذا الانحراف الخفي هو "إشكالية التأويل في التاريخ الإسلامي"
- يوجد تأويل آخر هو صرف اللفظ من معنى راجح إلى معنى مرجوح لقرينة صارفة والإشكال هو في هذه الأخيرة، وبين هذا الأمر شيخ الإسلام وتلميذه رحمهما الله
- مثل إشكال المعتزلة في قوله عز وجل "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة" وصرفوا اللفظ من المعنى الراجح إلى المرجوح.
- فهل من عارس هذا الفعل التأويلي جاد في تطلب مراد الله عز وجل؟
- نستخلص من هذا كله أن الغاية الأسمى هي تطلب مراد الله عز وجل، لا باعتبار عقائد الناس ومتطلباتهم، ومن الأشياء الأساسية التي ينبغي أن ندركها فيما يتعلق بالنص القرآني أن المتحدث بهذا النص كامل في نصحه للخلق وفي هدايته لهم وفي قدرته تبارك وتعالى في التعبير عما يريد من المعاني وبالتالي يستلهم الإنسان مقامات الهداية من هذا النص في ضوء هذه المعطيات.
- المتأمل للنص القرآني، يرى أن الله عز وجل أورد فيه طلبية بجعله موردا لتطلب الهداية ونذكر على سبيل المثال:

Scanned by CamScanner

1: حفظ النص وعدم ضياعه أو تحريفه:

يعني حتى يكون النص محلا للاهتداء والاستدلال لابد أن يكون النص محفوظا من التحريف والضياع.

2: انسجام النص وعدم اختلافه:

لأن القرآن كتاب هداية، فالله عزوجل جعله على طبيعة من عدم التناقض "ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا"

3: تيسير النص:

"ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر"

4: وضوح النص وبيانه:

وهذا متعدد في آيي القرآن: "يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا"

5: عربية النص:

لما أنزل الله عز وجل القرآن باللغة العربية، كان ذلك لعدة اعتبارات

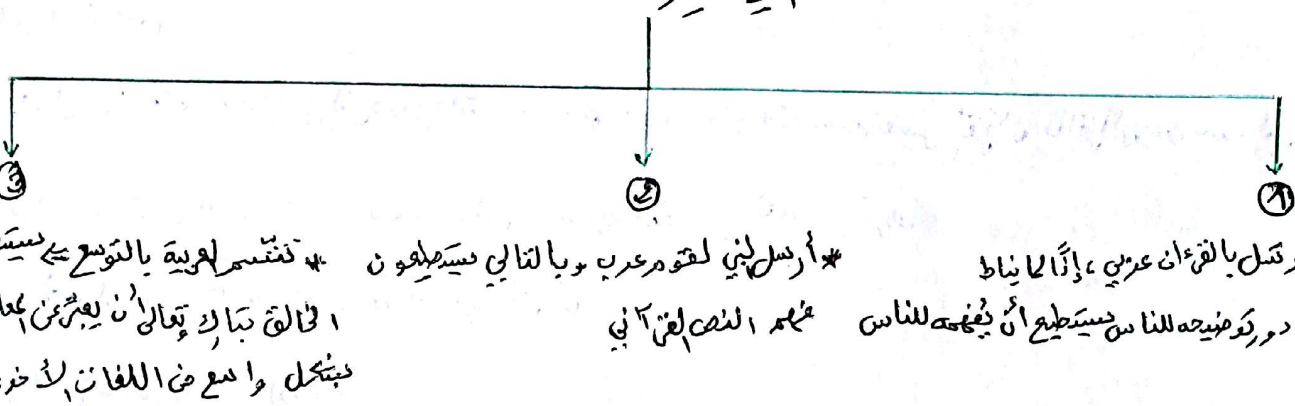

ب القاعدة الثانية: الأصل إجراء النصوص على الظاهر:

لما أورد الشافعي رحمه الله رضي الله عنه هذا فقال: "والقرآن على ظاهره حتى تأتي دلالة منه أو سنة أو إجماع بأنه على باطن دون ظاهر" وأيضا كلام البعلي شبيه له.

ب يوجد جدل واسع في دائرة اللغة العربية بين الحقيقة والمجاز بين من يدين له وبين من لا يدين له وقاعدة "حمل النص على الظاهر" لا تنسجم مع من يتمسك لتقسيم اللغة إلى حقيقة ومجاز وأحد البدائل في هذا أن نقول: "الواجب حمل النص في ضوء سياقه" وهي أدق وتشمل المذهبين جميعا

ب مثل أن تقول لفظة "عين" ما المقصود بها عين الماء، العين التي تبصر، لا نستطيع إدراك المعنى ما لم نتوضع هذه الكلمة في سياقها.

Scanned by CamScanner

لـ ابن تيمية رحمه الله يؤكد على ضرورة إعمال السياق في محاولة لتحديد مفهوم الكلام، وأيضا ابن دقيق العيد.

لـ القاعدة الثالثة: ضرورة تفسير الوحي بالوحي:

لـ مما يعلم أن الوحي قرآن وسنة، وأجود الأدوات التفسيرية هو تفسير القرآن بالقرآن وتفسيره بالنص النبوي

لـ الشاهد أن أحد أدوات فهم النص القرآني هو تطلب مراد المتكلم من خلال خطاب المتكلم لأنه هو أدرى

به فهو من أطلقه، إذا يتطلب الإنسان مراد الله عز وجل من خلال القرآن، وأعرف الناس بالقرآن هو النبي

مثل: "وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا" ما معنى "دحاها" "أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا" هذا هو وحي الأرض

لـ تفسير القرآن بالقرآن لا يلزم بالضرورة أن يكون حقا كله، لأن جزءا صالحا يدعى تفسير القرآن

بالقرآن هو جزء مثلا: يورد الله عز وجل آية ثم يجيء المفسر ويقول هذه الآية مفسرة

بهذه الآية، فقد يكون مصيبا أو مخطئا، ولكن تقوم مع إجماع تدل على قطعية التفسير القرآني

كالطارق والدخي.

لـ إذا كان التفسير القرآني بالقرآن لا يلزم بالضرورة أن يكون عالما للفعل الإلهي وإنما جزء منه من فعل البشر

ينقسم على نوعين:

← النوع الأول: قد يكون النبي صلى الله عليه وسلم، وبالتالي يكتسب تفسير القرآن بالقرآن من عنده النبي

قوة، ويكون معنى محكما، مصححا مثل تفسيره لمفاتح الغيب وغيرها

لـ والنبي لما بعث كان من مهماته تبيين القرآن.

لـ طبيعة التفسير النبوي للقرآن:

١: تفسير النبي لمفردات وغريب القرآن ٢: تبيينه للمبهم ٣: تخصيص العام وتقييد المطلق

٤: بيان المجمل

لـ من أهم الأشياء الملحقة بالتفسير النبوي: العناية بأسباب النزول لتفهم معنى الآية، أيضا

"العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"

Scanned by CamScanner

٤ القاعدة الرابعة: اعتبار العربية أساسا للفهم وفق معهود الأميين؛

٤ قواعد الاستدلال نرجع إجمالا إلى قاعدتين اثنتين:

* الأولى: العربية
* الثانية: معرفة أقوال السلف الصالح.

ويقرر شيخ الإسلام هذا الأمر كثيرا في كتبه.

٤ يلاحظ الآتي القرآن يرى الاحتفاء العظيم باللغة العربية، فلابد أن يُفهم القرآن في ضوء عربيته

٤ الإمام الشاطبي رحمه الله يرى أن المجتهد في مجال الفقهيات لابد له من الإحاطة بقضيتين اثنتين منهما: العلم والإلمام والاجتهاد في اللغة العربية، وأيضا عالمه بمقاصد الشريعة

٤ أحد الإشكالات التي دخلت على أهل البدع هي عدم فهمهم للقرآن وفق معهود الأميين من لغة العرب

٤ القاعدة الخامسة: فهم الكتاب والسنة في ضوء فهم السلف الصالح:

٤ لفظ "السلف الصالح" يطلق لجملة من المفاهيم، ولكن نقصد إجمالا القرون الثلاثة المفضلة.

٤ لماذا الاحتفاء بالسلف الصالح فهم رجال ونحن رجال؟

← الجواب: ثمة فوارق موضوعية هائلة بيننا وبين صحابة النبي، وهناك معطيات موضوعية عقلانية من استوعبها الإنسان يدرك أنه سيتنازل عن قناعاته إلى قناعاتهم رضي الله عنهم.

٤ من هذه المعطيات الموضوعية:

← الملكات العقلية والنفسية والروحية، فهم كانوا على قدر عظيم من الديانة، وهمتهم لفهم مراد الله ومراد نبيه صلى الله عليه وسلم أعلى وأكبر من همتنا.

← إحاطتهم بالعربية وعلومها.

← معاصرتهم للتنزيل وهي علامة فارقة بيننا وبينهم.

← الدلالات الشرعية المتكاثرة والمتنوعة التي تدل على ضرورة الالتزام بهدي الصحابة نحو قوله عز وجل "فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا"

٤ القاعدة هنا بطة في هذا: أن الصحابة كان فهمهم حسن لفهمهم مع كمال الاهتداء.

Scanned by CamScanner

لـ ينبغي أن نستحضر مستويات أساسية لما تحدثنا عن ضرورة الالتزام بمنهج السلف:

← المستوى الأول:

لـ ضرورة الالتزام بإجماع الصحابة

← المستوى الثاني:

يلزمنا شرعا وديانة أن نلتزم المنهج الذي التزموه في فهم الكتاب والسنة

← المستوى الثالث:

عدم الخروج عن أقوالهم فيما وقع الخلاف بينهم

لـ القاعدة السادسة: فرز مصادر الاستدلال وتعيين رتبتها:

مصادر التلقي بالخصوص في المجال العقدي هي أربع قضايا أساسية.

لـ القضية الأولى: لـ القضية الثانية لـ القضية الثالثة لـ القضية الرابعة

← الوحي: كتاب وسنة ← الإجماع ← العقل ← الفطرة.

لـ هذه المقامات من جهة الاعتبار الشرعي

لـ وهي الاعتبارات كذلك من جهة الصحة والضعف، فالقرآن متواتر كله وصحيح كله، أما في السنة ففيها ما يصح وما لا يصح، وبالتالي المعتبر من سنة النبي الذي يحل للاستدلال هو ما صح من سنته

لـ أيضا من مجالات الفرز المعقولات فمنها ما هو صحيح ومنها ما هو فاسد.

لـ " " " من جهة القطع والظن، ومن جهة الإحكام والتشابه

لـ القاعدة السابعة: مراعاة دلالة النص من جهة القطعية والظنية:

لـ من القضايا الأساسية في التعامل مع نصوص الوحي قرآنا وسنة أن كل النصوص على رتبة واحدة من جهة قوة دلالتها، فمن نصوص الوحي لا يفهم منه إلا معنى واحد، وعندنا دلالات ظنية يمكن أن تتعدد فيها الأفهام

لـ إذا كانت دلالة النص الشرعي قطعية وجب علينا أن نلتزم بهذه الدلالة وإذا كانت ظنية فينبني على هذا قضيتين

لـ الأولى:

يتعين عليه الالتزام بدلالة هذا النص في ضوء ما ترجح له من دلالته، فظنية النص لا تلغي الاعتبار لدلالة النص

← ذكر المؤلف قول الله "فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ قُرُوءٍ" والألفاظ والمعاني المحتملة للقرء لاستخراج عبودية الاجتهاد.

Scanned by CamScanner

لـ مما يتعلق بالقضايا الظنية والقطعية ضرورة أن يراعي الإنسان المعيار الشرعي في تحديد ما هو ظني وما هو قطعي، فبعض الناس يدعون أن القرآن كله قطعي والسنة النبوية كلها ظنية، فهذا خطأ وهذا خطأ فقد يخطأ الإنسان بين قضايا الثبوت وقضايا الدلالة، فيحكم على قضايا الدلالة بالظنية مطلقا ولا يستشكل قطعية الثبوت

لـ من الصعب الحسم بمعيار دقيق ما هي المسائل الظنية وما هي القطعية في كل القضايا

دائرة القطعيات	قضايا غير محررة متنازع عليها	دائرة الظنيات

وفي خبر ابن عباس وعروة بن الزبير رضي الله عنهما ما يشرح هذا الرسم.

لـ القاعدة الثامنة: رد متشابه الوحي لمحكمه:

لـ وأصل هذه القاعدة مذكور في نص القرآن: "هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ... إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ"

تدل الآية على أن القرآن ذو طبيعتين: طبيعة محكمة وطبيعة متشابهة

لـ اختلف أهل العلم في معنى المحكم والمتشابه وأظهر الأقوال: "المحكم ما لم يحتمل إلا معنى واحدا، والمتشابه هو ما احتمل معانٍ"

لـ سؤال: ما الفرق الموضوعي بين "رد متشابه الوحي لمحكمه" و "التفريق بين مقام الظنية والقطعية"

لـ الجواب:

الفارق الموضوعي هو إشارة الآية

← القاعدة الأولى: ضرورة التمييز بين النص القطعي والظني، فيوجد في مسائل الشريعة مجرد نصوص ظنية ويقع الخلاف فيها فلا يسوغ للإنسان أن يتعلق بدلالة ظنية وإنما يرد إلى الدلالة المحكمة

خلاصة:

لـ مسألة ورد فيها دلالة قطعية ← يجب على المسلم الالتزام بها

لـ مسألة ورد فيه دلالة قطعية وظنية ← يلتزم المسلم بالدلالة القطعية ويرد الدلالة الظنية إلى المحكمة

لـ القاعدة السابعة أو سعوض الثامنة

Scanned by CamScanner

لـ القاعدة الثامنة: وجوب الإيمان بالكتاب كله وعدم التبعيض:

لـ يقول الله عز وجل: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً" يعني ادخلوا في الإسلام كافة

وغيرها من الآيات، فمن المحال أن يتعارض الوحي

لـ وفي الحديث "... أبهذا أمرتم؟ أو بهذا بعثتم؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض"

لـ الخوارج تعلق ببعض الوحي في مقابل المرجئة الذين تعلقوا بالوحي المضاد، كذا الحال مع القدرية والجبرية وغيرهم

لـ القاعدة العاشرة: درء توهم التعارض عن الوحي:

لـ المشهور الأول: دفع أو درء التعارض، وعندنا درء التعارض عن الوحي الخارجي

← درء التعارض الداخلي:

قد يتوهم وجود أنواع من التعارض في دلالات النص القرآني وأن هذه الآية متعارضة مع النص القرآني.

← درء التوهم الخارجي:

أن يصير القرآن في كفة ومعطى آخر في كفة أخرى مثل العقل أو العلوم الطبيعية والتجريبية.

لـ مثال عن دفع التعارض الداخلي:

قول النبي: "من نوقش الحساب عذب" استشكلت عائشة رضي الله عنها هذا الحديث مع قوله تعالى:

"فأما من أوتي كتابه بيمينه، فسوف يحاسب حسابا يسيرا" فوضح لها أنه "العرض" ولكن من نوقش الحساب عذب

لـ دفع التعارض الخارجي:

أهم مشروع في هذا كتاب شيخ الإسلام "درء تعارض العقل والنقل"، أحد أسئلة في هذا:

ما هو العقل الشرعي الصحيح في حالة تعارض العقل والنقل؟

خلاصة ما قاله المتكلمون: إذا تعارضا: 1: يقبلا جميعا 2: يردا جميعا 3: يقدم العقل على النقل 4: يقدم النقل على العقل

لـ قال المتكلمون في التعارض تقدم العقل على النقل والسبب لأننا عرفنا صحة النقل بالعقل ووجدوا أن خيار تقديم العقل هو الأفضل

لـ شيخ الإسلام رد هذه الدعوى في 3 قضايا أساسية

لـ القضية الأولى: دفع إمكانية التعارض بين العقل والنقل

لـ القضية الثانية: الأقسام الممكنة في معالجة هذا السؤال الأكثر من 4: فعندنا عقل ونقل فتطابق عقل ونقل لا إشكال والقطعي مقدم مطلقا سواء كان عقلا أو نقلا، وإذا تعارض الظنيان نرجح

لـ القضية الثالثة: ما هو الداعي لترجيح تقديم العقل على النقل؟ قالوا لأنه هو الشاهد لصحة النقل

Scanned by CamScanner

* هكذا تألق جيل الصحابة *

-> المهندس. عبد الله الجبيري <-

مقدمات:

من أهم المكونات في العملية التربوية هي تربية النشء على محبة صحابة نبي صلى الله عليه وسلم.

أورد الأستاذ قصة "ربعي بن عامر" رضي الله عنه مع "رستم"

أتأمل في سيرة الصحابة لا يرى ذلك الذوبان في الحضارة الفارسية والرومانية، لماذا هذا الفرق؟ ما هو.

هذا الفرق الذي وقع في نفوس الصحابة حتى لما وقع الالتقاء الحضاري بهم لم يزدهم ذوبانا من الصحابة؟

ما الفارق بين جيل الصحابة وجيل هذا الزمان الذين لديهم حالة من الانبهار الحقيقي بالمعطى الحضاري للغرب

بل وصل الأمر إلى حالة إعادة ترتيب المنظومة العقدية والشرعية لتتوافق مع معطيات الحضارة الغربية.

إشكالية الرضوخ للهيمنة الثقافية هي إشكالية الكل؛ حساسين وكفار، وكما قال ابن خلدون "الأمم المغلوبة مولعة دائما بتقليد الأمم الغالبة".

سؤال:

ما هو المكون الموجود عند الصحابة الغائب عند كثير من أبناء المسلمين، بحيث يمكنه أن يخلق حالة من الحصانة من الذوبان في المعطى الحضاري الغربي؟

الجواب:

السمة المركزية هي تمام الخضوع والانقياد والتسليم لله ولرسوله، وتعظيمهم للوحي

-> بعض النماذج المعبرة عن عقيدة الانقياد والتسليم من حياة الصحابة:

1: تسليم الصحابة للإمام الأكبر أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

أول خبر يرد هنا خبر الإسراء والمعراج، قال الناس لأبي بكر رضي الله عنه أن نبيكم يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس وأنه أصبح بين ظهرانينا، ويا سبحان الله الناس لم يكملوا نقل الخبر إلى الصديق رضي الله عنه فقال الصديق عبارة منهجية شديدة التكبير في الإسلام "إن كان قاله فقد صدق" بل يصدقه في أعظم من هذا في خبر السماء ليلا ونهارا.

" لئن كان قاله فقد صدق" عبارة منهجية تبين قصاري جهود المسلم في تعامله مع خطاب الله ورسوله.

قال أبو بكر رضي الله عنه: إن كنتم صادقين في نقل الخبر، فما يهمني تفاصيله، المهم خروج الخبر من فم نبي

Scanned by CamScanner

له "أصدقه في خبر السماء ليلا ونهارا" هذه فكرة عقلانية في منهج التسليم، عميقة في منهج أهل السنة والجماعة فنحن لنا من لما ندعوه إلى الإنقياد والتسليم لمعنى لو حي يظن أن هذا مبني على الإيمان الأعمى، ولكن المعنى هنا شديد العقلانية "إني أصدقه بأكثر من ذلك، أصدقه بخبر السماء" فهو إن كان رسولا من عند الله فهو متصف بالعصمة، والعصمة ضمان على عدم دخول الخلل في الخبر

له أوجه دخول الخلل في الخبر على ضربين:

1: من جهة الوهم والغلط 2: من جهة تعمد الكذب، والرسول معصوم من الجهتين

له من الضروري أن يتعامل الإنسان مثل خبر الإسراء والمعراج في ظل الإمكانيات العلمية والحضارية والتقنية الأوضاع الناس في ذلك الزمان حتى يدرك الإنسان شدة الخبر على قريش؛ فثمة من آمن بالنبي ثم ارتد لهذه الحادثة، وحتى نعرف قدر وجلالة أبي بكر رضي الله عنه، والصديقية هي أعلى مقامات الإيمان، ولا يمكن الحصول عليها إلا بتمام التسليم لله ولرسوله، أورد ابن القيم في مدارج السالكين.

2: بين الصديق الأكبر أم المؤمنين المطهرة عائشة رضي الله عنها:

له في خبر رواه أصحاب السنن عن قصة هروب الأسير من عندها فقال لها النبي: أين الأسير؟ فقالت هرب فقال لها رسول الله مالك؟ قطع الله يدك، ثم قبض على الأسير مرة أخرى، ورجع النبي إلى عائشة فرآها واقفة كفيها، تنظر فيها وتقلبها فتعجب منها وقال لها أخبرتني؟ فقالت دعوت علي فأنا أنتظر أي يدي تقطع أولا.

له هو عجبا لعائشة رضي الله عنها لو قيل لإنسان قطع الله يدك لرأيته يتحاشى السكاكين، لكن أن يصل الإنسان إلى هذا اليقين التام فهذا من خوارق العادات.

3: الصحابي الجليل معقل بن يسار رضي الله عنه:

له في خبر الرجل من المساكين الذي طلق أخته، ثم أراد أن يتزوجها مرة أخرى فغضب معقل وحلف بالله أن لا ترجع إليه، فقال معقل "فعلم الله تعالى حاجتها إلى زوجها وحاجته إلى زوجته فأنزل الله "وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ..." فما هو هذا الإيمان الذي به يتنازل الرجل عن حقه وهشاعره ونقاد لأمر الله.

4: امرأة عجوز تحاور النبي صلى الله عليه وسلم:

ونورد هذا الخبر عن امرأة غير معلومة حتى نبين أن عقيدة التسليم سارية في كل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

والخبر أن امرأة عجوزا قالت للنبي ادع الله أن يدخلني الجنة فقال لها النبي "لا يدخل الجنة عجوز" فأخذت تبكي لأنها أخذت هذا الخبر النبوي بجد وصدق، ولم يطلعها صدره على معنى الاعتراض، ثم بين لها أنها لا تدخلها وهي عجوز وإنما أبكار.

Scanned by CamScanner

- وذلك أخبار تحريم الخمر وفرض الحجاب وخبر الدجال

- السؤال:

ما الذي ولد هذا المستوى الإيماني الذي حققه الصحابة في مقام التسليم؟

- الجواب:

التربية والعناية الإلهية والنبوية.

- إذًا يجب أن لا نطالب الناس بمقامات إيمانية رفيعة، دون أن يكون المستوى التربوي المبذول عالٍ ورفيع

- مواقف أساسية أقامها الله من أجل تربية الصحابة

- الموقف الأول:

← موقف الإسراء والمعراج وهو حدث ابتلائي في قضية التسليم لله ورسوله قال الله "وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ"

- الموقف الثاني:

← حادثة تحويل القبلة، والمقصود منها اختبار الناس وليعلم من يتبعه ممن ينقلب على عقبيه ويقول الله "وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ" فالتسليم الإلهي كهذا مقام رفيع عالٍ.

← الله هيأ الأمة لتحويل القبلة من قوله تعالى "فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ" المعروف أن هذا الخطاب مكي، لكن أن تأتي آيات كثيرة قبله واستغرق الأمر "مرفعين من المصحف" مدة غريب جدًا وفيه من الابتلاء ما الله به عليم

← والذي يحل اللغز قول ابن عباس "وكان ذلك أول ما نسخ من القرآن"، ففكرة النسخ لم تكن موجودة في المنظومة الأصولية للصحابة ولم تكن واردة على أذهانهم بيانًا، وبالتالي لما طرأ التغيير وقع الإشكال

5- صلح الحديبية:

والشاهد منها هو سهل بن حنيف رضي الله عنه حين قال يوم الجمل: يا معشر الناس اتهموا الرأي، فلقد رأيتني يوم الحديبية في أمر أبي جندل لو أستطيع أن أرد على رسول الله أمره لرددته عليه.

- يقول لو عندك موقف تحكم فيه الوحي أو الرأي فقدم الوحي

- القصة الأخيرة:

تعبر عن قضية البركة الإلهية وقضية مقام الإحسان الرفيع الذي كان الصحابة يطالبون بتحقيقه.

- القصة جاء أبي رافع لما كان يطبخ شاة أهديت له فناول النبي جميع أذرع الشاة فأكلها، وقال النبي لو سكت يا أبا رافع ولو ناولتني ذراعا بعد ذراع ما سكت، يعني لو حققت هذا مقام الإحسان الرفيع، ولم تجاوز السؤال وسكت وفتحت القدر لوجدت ذراعا آخر وذراعا آخر، فهم هذه البركة الإلهية

Scanned by CamScanner

* المادة الرابعة: التسليم للنصوص *

ومناقشة النصوص

مختصر ينبوع الرواية الفكرية د-

* المهندس: عبد الله الجبيري *

* منزلة التسليم لله ورسوله *

لـ من المباحث العقدية المهمة والفكرية ظاهرة محركات الأفكار، فتنبني الأفكار يعود إلى عوامل عدة، ومن أوهم الاعتقاد أن العلم والمعرفة هما الفاعلان الوحيدان في المشهد، فأحيانا هناك أبعاد تخرج عن المحمل العلمي كالهوى والعصبية ودوافع النفس

لـ من خلال سؤال التفسير والتأثير يمكننا اكتشاف مبررات تشكل الرؤى والأفكار، والتعرف على العوامل الذاتية/ الداخلية والخارجية المسؤولة عن إحداث التصورات

لـ مثال توضيحي لفكرة "محركات الفكرة":

ومضمون المثال يدور حول السبب الحقيقي الباعث للمعتزلة على نفي رؤية الله تبارك وتعالى في الدار الآخرة. وفي كل مرة يطرح هذا السؤال يأتي الجواب بالاستدلال بقوله تعالى: "لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ" أو قوله تعالى في قصة موسى "لَن تَرَانِي"

لـ هذا الجواب يكشف عن خلل عميق في تصور البواعث العلمية الحقيقية التي كمن خلف هذا الرأي الاعتزالي

⇐ وقوع خلل في المسلك العلمي لمعالجة هذه الإشكالية، فالذي دفع المعتزلة لهذا التصور لم تكن دوافع "نقلية" بقدر ما كانت دوافع "عقلية خالصة" أطرت العقل بإنكار رؤية الله تبارك وتعالى

لـ ترتيب الاستدلال الاعتزالي:

1- الانطلاق من حكم عقلي يقضي باستحالة رؤية الله تبارك وتعالى لاعتبارات ولوازم توهموها.

2- تحميل هذه الاستحالة بدلائل قرآنية أو حسية ⇐ خروج بهذا التصور المنحرف

لـ أورد المؤلف مثالا آخر يوضح الفكرة المحورية وهي حد الردة ص185

لـ حد الردة لم يذكر في القرآن وحضور حرمة الإكراه في الشأن الديني "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ"، ثم تأتي السنة لتأكد حضور هذا الحد الشرعي، ثم يأتي الحديث "من بدل دينه فاقتلوه"، يحرفون بعض الحديث، كيف يكون ذلك وهو مروي في أصح الصحاح "البخاري" وعليه عمل الصحابة.

Scanned by CamScanner

لـ هذا التسلسل في مناقشة هذه المسألة، وإن كان يهو وفي فلك الشريعة، لكنه كثيرا ما يكون متأثرا بعوامل خاعلة تقع خلف الستار.

لـ كثير ممن يدخل ليدفع حكم هذا الحد، لا يدخل بنفس حيادية عند معالجة هذه المسائل.

لـ حتى يتضح الخلل في معالجة هذه المسألة، والتي تدل على تأثير عوامل أجنبية في تشكيل الموقف من هذا الحد ما يلي:

أولا:

لـ يدعي بعضهم أن حد الردة القتل ليس أمرا لازما وإنما هو عقوبة تعزيرية خاضعة لإرادة الإمام، وهذا يدل على الارتباك العلمي للمدعي، ويبحث عن مسوغ شرعي يخلصه من ورطة هذا الحد، لأن القول بجواز التعزير للردة، لا يعالجها بل يستظل المشكلة قائمة سواء كان القتل بالردة لازما أو جائزا.

ثانيا:

لـ يستشهد بعضهم ببعض الأقوال الفقهية على قلتها والتي توهم بإثبات خلاف معتبر في أصل حكم الردة، وإنما هي لا تعدو أن تكون تقريرا لاختلاف في حكم الاستتابة كالأثر المروي عن عمر رضي الله عنه أو النخعي وسفيان الثوري.

لـ هذه الطريقة - طريقة تتبع الأقوال وتوظيف ما يناسب الاعتقاد المسبق - غير شرعية، بل لا تعدو معالجا للمأزق العلمي.

لـ مهما حاول المخالف، فلن يقدر على إنكار الإجماع على مبدأ العقوبة، وما ينقله من خلاف - إن صح - فهو يتناول نوع العقوبة لا أصلها.

ثالثا:

لـ من ينكر حد الردة تحت مسمى "مبدأ الحرية" لا يستطيع إنكار أن ثمة علماء أجلاء أكابر يقولون به، وجماهير أهل العلم يقررونه، وينقلون إجماعا عليه، فهل المخالف معترف بشرعية خلافهم في المسألة على الأقل، ويقول في قولهم هو حق محتمل، أم أن قولهم مناقض لأصل محكم من أصول الشريعة وهو "الحرية"، وهذا القول هش للانشطار في زمن الحريات.

Scanned by CamScanner

* ينبوع الإنحراف الفكري :

لـ كثير من الإنحرافات في المجال الفكري والعقدي للخاص لا يعود في حقيقته إلى الإشكالات المعرفية وإنما ثمة محركات أخرى تقف خلف هذا المشهد وسنجد أنها عائدة إلى مركبين اثنين:

1: هيمنة النموذج الثقافي الأجنبي.

2: ضعف التسليم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم

لـ لا شك في أن للفهم الثقافية هيمنة في توجيه الفكر و تشكيل التصورات ، وهذا الحاقن رحمه ابن خلدون رحمه الله " المغلوب مولع بتقليد الغالب" ، وهذه الإشكالية لا تخص المشهد الغربي الإسلامي فقط بل هي أزمة حضارية منتشرة بانتشار الأنماط الثقافية المهيمنة

لـ و المتأمل لزمان هيمنة الحضارة الإسلامية يرى أثرها على الأقليات غير المسلمة ليمتد أثرها إلى أوروبا ذاتها، وأورد الأستاذ العجيري مقالا لـ "غليوم الأثري اليهودي" الذي يكشف بجزء عن هذا الأثر على الأقلية اليهودية (ص 191) وأيضا يتحدث أسقف قرطبة بمرارة عن هذا الأمر.

لـ و مما يزيد بيانا و وضوحا أثر الهيمنة الثقافية في مراع المبادئ والأفكار ما حكاه أئمة الإسلام عن جليلة اعتراضات اليهود والنصارى عن دين الإسلام وعن نبي الإسلام في زمن الهيمنة الإسلامية وزعموا أن الرسول حق لكنه مبعوث للعرب خاصة، وعدت هذه أولى الإشكالات التي عالجها شيخ الإسلام (ص 192) وانظر لمناظرة ابن الهيتم مع اليهودي ص (193)

لـ كثير من "الموضات الفكرية" التي عصفت بأمة الإسلام في العصر الحديث و يفهم أثر هيمنة النماذج الثقافية في تشكيل التصورات والأفكار؛ بهذا يمكن تفسير كثير من محاولات أسلمة الأفكار الشرقية أو الغربية ، مثلا؛ في زمان نفوذ النموذج الاشتراكي ثم تقدير القراءة الاشتراكية للإسلام وهكذا مع الليبرالية وله جمو فراطية وغيرها.

لـ نتيجة استقراء هذه المفاهيم وتعلقها بالحضارة الغربية الطاغية ، وإضافة إلى موافقة كثير من الفهم لترغات الهوى ، فإن الجهود المبذولة محدودة الأثر ، لذا يجد التركيز على تقوية مناعة الأمة بتقوية أفرادها حاجة ملحة وضرورية ، وخير ما يقوي المناعة من الانحراف هو تربية الانقياد لله ورسوله.

Scanned by CamScanner

لـ ولّدت حالة الضعف أمام ضغوط الواقع والأفكار المهيمنة إشكالات تشريعية عظيمة هي أيضا معرفية تُطرح في عديد من الكتابات التي تفاقم إلى حد بعيد طبيعة هذه الضغوط مما أفرز خللا منهجيا وغيابا للموضوعية في معالجة المسائل التشريعية والاعتماد على الانتقائية في الوحي وتبعيض النصوص والتعلق بالمتشابه..

لـ هؤلاء يريدون أن يمارسوا مصالحة بين الدين والواقع، بفرض هيمنة الواقع على الدين، ويصبح الدين مجرد "ختم" لإضفاء الشرعية، وعند التعارض تجعلونه "نصا منسوخا"، لكن الدين إنما جاء ليكون له الحكم في الحياة، ولأجله أنزل القرآن وبُعث النبي

لـ أين الخلل؟

لـ لا شك أن الإخلال بالتسليم على درجات، يبلغ بعضها بالإنسان إلى حد الخروج من الإسلام مطلقا، وبعضها يصل به إلى الانحراف والزيغ لا الكفر.

لـ إذا تجاوزنا الخطاب العلماني الذي ينزع القداسة عن النصوص، فإن مفهوم التسليم لله ولرسوله يظل واحدا من أهم بديهيات التدين، وفي أصله على فكرة الطاعة المطلقة والإيمان المطلق بقول الرب ونبيه صلى الله عليه وسلم

لـ مع وضوح هذه الفكرة، فإن هناك خللا عميقا في تطبيقها، مما ولّد صورا متعددة من الزيغ والانحراف وما عليك إلا أن تتأمل في المهزومين فكريا لترى حجم الحرج والضيق الذي وقعوا فيه، فيردون النصوص ويحرّفون الكلام، ويتعلقون بالشاذ من الكلام...

لـ هذا الحديث عن بعض البديهيات كـ "حقائق الولاء والبراء"، و"أحكام المرتد"، و"جهاد الطلب" و"قضايا المرأة" من باب ضرورة الانتخار اللغوي، وحرصا من أجل مجرد التلفظ بهذه الألفاظ في هذا الزمان الغريب.

لـ هؤلاء المهزومون متى ما حوصروا بحقائق الشرع يلجؤون فزعين للحديث عن تاريخية النص وإعادة قراءته و"فهم المؤلف" وغير هذه الأفكار المخلخلة والتي هي واجبات عظام هي ثمرة التدين الحق

لـ لا تقاف على مبدأ التسليم:

لـ كثير من هؤلاء المهزومين متى حوصروا بدليل الفعل الشرعي المخالف لأهوائهم سيلتمسون ثغرات ومخارج يدعي أو يغيروا في النص للخروج من سلطة هذه النصوص لتحقيق الطمأنينة ويشعروا بأنهم لا زالوا مستمسكين بالوحي مع استبعاد أهوائهم، فيديرون عملية "توفيقية/تلفيقية" بين معطيات النص والواقع، مع إيراد جملة من الإشكالات في معارضة النص تسهيلا لإقامة النموذج التلفيقي.

Scanned by CamScanner

أساسيات ومرتكزات التسليم للنص الشرعي:

1: من الله البيان ومنا التسليم والإذعان:

لـ من رحمة الله بعباده أن أنزل هذا الدين التام الكامل، وتمم نعمته حين جعل طريقة معرفته واضحة لا لبس فيها، وجاءت نصوص الوحي قاطعة لتأكيد هذه الحقيقة الشرعية منها قوله عز وجل: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا"

لـ دين الله لا لبس فيه ولا غموض، هدى وبيان ورحمة وضمنها حديث النبي "قد تركتكم على البيضاء..."

ومن هنا اتضح هذا المعنى اتضح له وجه كون القرآن هداية للناس وعلى آخرين عمى، ولطبيعة النص القرآني تأثيرها تأثير في حصول الهداية والبركة: وهذا معنى عظيم ينبغي مراعاته والتمسك به كقوله تعالى: "وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا..... مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ"

لـ إذا تبين للعبد أن هذا "البيان التام" من الرب نعمة، فواجب العبد الشرعي وهذا لا يكون إلا بواجب "التسليم" وهذا ما وضحه الزهري والأوزاعي في قولهما رحمهما الله ص 201

لـ حقيقة التسليم:

لـ حقيقة هذا التسليم الواجب هو "بذل الرضا بالحكم" فهو عمل قلبي يبذله المسلم طواعية منه رضا بحكم الله.

وهو في الحقيقة "عبودية الأمر" والتسليم الشرعي يكون به ويتعلق بالتسليم والانقياد:

1: التسليم لأمر الله الشرعي يكون بـ:

← باعتقاد ما أوجب الله اعتقاده
← فعل ما أوجب الله فعله
← ترك ما أوجب الله تركه

2: التسليم لأمر الله الكوني يكون بـ:

← الرضا بقضاء الله وقدره، والصبر على المصائب، ومرافقة القدر بالقدر.

لـ لا يتم التسليم ولا يكمل إلا بتنقية القلب وتخليصه من:

← شبهة تعارض الجبن ← شبهة تعارض الأمن ← إرادة تعارض الإخلاص. ← اعتراض يعارض العذر الشرعي

لـ ومعرفة حقيقة التسليم وأدرانها تستدعي من العبد المراقبة الدائمة للقلب والمحاسبة المستمرة لأفعاله، ليتبين أين مقره من التسليم ومرجع هذه العلل تعود إلى "علة واحدة" وهي أن لا يكون تسليمه صادرا عن محض الرضا والاختيار، بل يشوبه كره وانقباض، فيسلم على نوع إغماض، فهذه علة التسليم الكؤود فاجتهد في الخلاص منها"

Scanned by CamScanner

٤- الصديقية ثمرة التسليم:

- لا يثبت للعبد قدم في مقام العبودية إلا على ظهر التسليم، ومن سلّم العبد الحق بركب الصديقية وكلما كانت الصديقية التسليم كانت الصديقية أتم وأكمل.

- وتأكد صلة الصديقية بالتسليم لتسمية الصديق بهذا، لأنه لما بلغه خبر الإسراء قال "لئن كان قد قال فقد صدق" والتسليم مقام التسليم هي الميزة العظمى للصديق رضي الله عنه.

٥- التسليم موقف عقلاني:

- من الأوهام الغليظة أن التسليم هو تأسيس للدوغمائية وهو عدل كلي للأداة العقلانية وهو إما محض تقاليد ومتابعة من غير حجة، والحق أن التسليم يرتكز على معطيات علمية/عقلية وتوضحه فيما يلي:

- مصادر المعرفة منحصرة في قنوات ثلاث:

العقل ← الحس ← الخبر.

- وتوجد معايير تقوّم صوابية المعرفة من بطلانها، وأهل التصديق الخبر يقوم على مرتكزين اثنين:

- السلامة من الكذب، وضمانته معرفة صدق المخبر.
- السلامة من الوهم، وضمانته معرفة ضبط المخبر.

- لا بد من وجود معطيات عقلية لتحصيل المعرفة وبوجودهاتين الضمانتين، ولما تتوفى هذه المعطيات يكون التصديق بالخبر منطلقا عن تأسيس عقلي صحيح

- لما توفى صفتا "صدق النبي صلى الله عليه وسلم" و "العصمة له" سيحكم العقل بتصديق الخبر.

- وأطال أهل الكلام في دلائل النبوة وتنوعها في إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه الدلائل تقوم على مقدمات عقلية صحيحة تفضي إلى الإيمان بالوحي في حالات ثلاث.

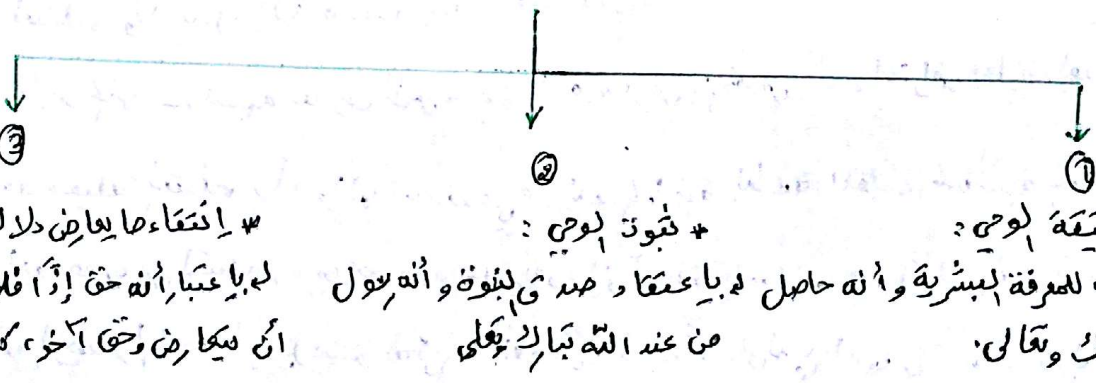

Scanned by CamScanner

لـ تفاصيل هذه المرتكزات الثلاث التي ينبني عليها التسليم عقلا تنحصر إجمالا في:

لـ ما يتصل بماهية الوحي وطبيعته ينبغي أن يكون مأخوذا من الوحي ذاته باعتبار خروجه ومباينته للمعرفة البشرية، وهو وإن كان في أصله خبرا مدركا بالحس والعقل لكن ما يتصل بماهيته وكيفياته وأوضاعه خارج عنهما، وما كان كذلك فلا مجال للمعرفته إلا عن طريقه، وضمان سلامة هذه المعرفة مرهون بثبوت سلامة الوحي ذاته

لـ إن لم يكن للعقل مجال عملي صحيح في معرفة حقيقة الوحي، لكن له وظيفة في بيان جواز وقوعه لـ ما يتعلق بثبوت الوحي وحصوله فطريقه الأساس عقلي، ومن ضمن دلائل أهل العلم في التدليل على النبوة وخلاصة ما يذكرونه ترجع إلى أصول ثلاثة:

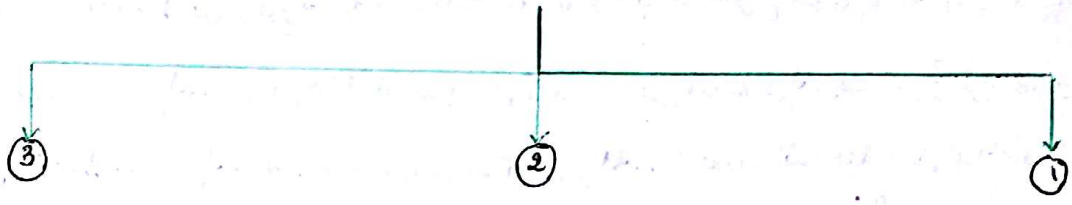

لـ النظر في أحوال النبي صلى الله عليه وسلم:

لـ من خلال النظر في أحواله صلى الله عليه وسلم وما يعلمه الناس من أحوال الصادق والكاذب وأن هذه المعرفة واضحة في النبي فوجهه ليس بوجه كذاب، فقد عاش بينهم 40 سنة ما جربوا عليه كذبة قط، وإذا سلمنا بهذا فالتسليم لجزء موقف عقلاني منطقي.

لـ دلالة المعجزات:

لـ المعجزات واحدة من الأمارات لبيان صدق أنبياء ورسل الله، وجه الاستشهاد بها هو في خرق العادة مع دعوى النبوة والاستدلال بها على صدق الدعوى لا يمكن أن يكون اتفاقا بل بينها وبين الدعوى والمدعي تلازم ظاهري وخرق العادة خارج عن قدرة الخلق بالكلية ومنه فالتسليم له ثمرة عقلية منطقية سليمة

لـ دلالة الوحي:

هذه القضية مقررة عقلا في القرآن، فالقرآن في ذاته معجزة وتحدى النبي بها العرب وعن الإتيان بمثله مع ما لهم من الكفاءة اللغوية وكذلك استحالة القرآن على الأخبار الحاضرة والغائبة والمستقبلية وظهور صدقها وتحققها واشتماله على مدارك العلوم التي يقام عندها البشر

Scanned by CamScanner

التسليم بين الترغيب والترهيب

- امتدح الله أهل التسليم، وبيّن خير بنهم فقال "وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ"
- ومن أسلم وجهه لله فهو المستمسك بالعروة الوثقى وصاحب هذا الأجر هو الموعود بالأمن في الدنيا والآخرة.
- حذر الله من ترك واجب التسليم، وأنه لا إيمان إلا به، وخالفه عرّض للوعيد الشديد فقال عز وجل: "فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا"
- بيّن سبحانه أن ما يقع من خلل في أداء واجب التسليم لله ولرسوله إنما يكون لمرض في القلب أو متابعة للهوى، أو ناشئاً عن كِبْر ونفاق، قال الله: "وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا"
- مما سبق في خطابات الشرع إنما يُفيد على أن من الحكم العليا لابتلاء العباد (بالتسليم والانقياد) بل لعله المقصود الأعظم من وضع الشريعة، فالشريعة موضوعة لاستخراج هوى الإنسان وتخليصه لله ولا يكون هذا إلا على قنطرة التسليم، وهذا مقصد يغفل عنه كثير ممن يتكلم في التشريعات ويُسرف في تتبع حِكَم التشريع غافلاً عن أعظم مقاصد الشريع، فيقعون في توهين واجب الانقياد للشريعة: بل قد يتطور الأمر إلى معارضة الأحكام الشرعية. طالع كلام الإمام الجويني (ص 815) وابن القيم (ص 211)
- يمكن أن نضيف أن استكشاف حِكَم الشريعة أحيانا يكون منبتاً للمرء وتزيين الانقياد وإضعافه، كقول ابن في السواك "مطهرة للفم، مرضاة للرب" وغيرها، لكن ينبغي الحذر في هذا المقام من بابين خطرين:

الأول:

- الحذر من القول على الله بغير علم فهو محرم

الثاني:

- الحذر من المغالاة والإسراف في التفتيش عن الحِكَم، فهو موهن لمقام التسليم بتعويد النفس على عدم التسليم فيما لم تستبن حكمته، طالع كلام الجويني في هذا (ص 213)

* مزالق هدر التسليم *

أين الخلل:

- من أبرز الإشكالات الواقعة في الساحة الفكرية قابلية المنهزمين المتأثرين بهيمنة القيم الليبرالية إلى إعادة ترتيب المنظومة الشرعية للتوافق مع معطيات الحضارة الغربية، فهؤلاء عندهم قدر من الاحترام للمرجعية الشرعية ولم يلغوها عن أصلها مطلقاً، وإنما يريدون في هذه الجاذبات بتطويع النص لمعطيات الواقع، بما يحقق حالة من الاتزان، فإذا اصطدموا بأن مقتضى التسليم للنص جعله مهيمناً وحاكماً على الواقع أخذ يسرد جملة من الاعتراضات ليخفف من نفسه أثر التخلي عن التسليم، وأهم هذه الاعتراضات ما يلي:

Scanned by CamScanner

1 : مشكلتنا ليست مع مبدأ التسليم ولا مع النص الشرعي، وإنما في مطالبتكم بالتسليم لفهمكم للنص والإذعان لقراءتكم، ونحن وإياكم نعتمد على نص واحد وكل وفهمه.

2 : إذا تأملنا الواقع رأينا الاختلاف الواسع بين أهل العلم في الأصول الدين وفروعه، فلو كان التسليم للنصوص الشرع كما تتصورون كما وقع شيء من ذلك الاختلاف، ولكان من موجب التسليم اتفاق الكل على قول واحد

3 : التسليم لله ورسوله جزء من بنية تشريعية متكاملة، والشريعة مبناها على مراعاة المصالح ودرء المفاسد، فإذا كان فهم نص جزئي يناقض المصلحة أو يستوجب المفسدة لم يكن التسليم له منسجما مع الشريعة بل مضادا لها.

4 : من عظمة الشريعة استجابتها لمتغيرات الواقع وتقلباته، والنص جامدة لا تتطور، وإنما تتفاعل وتتطور بتطور الزمن

5 : العقل من أجل نعم الله على البشر، به عرفت صحة النبوة وصدق الوحي، فلا بد من اعتباره مرجعا في حال الاختلاف النصوص

6 : من الخلل المنهجي في مسألة اتباع السنة النبوية، جعل كل ما صدر عن النبي وحيا، فما صدر عن النبي على نوعين سنة تشريعية وسنة غير تشريعية، فالتسليم بين النوعين في مسألة التسليم خطأ منهجي مخالف لمقصد الشرع

7 : منا قشة الأحكام الشرعية بل واستنكارها لا ينافي التسليم، فالصحابة رضي الله عنهم كانوا يردون استنكارا تاما بين يدي النبي، فكيف للمرء الانقياد لما لا يستطيع فهمه أو إدراك معناه.

8 : كلامكم في مبدأ التسليم ورفعه كشارة على منهجكم ثم ادعاؤكم الالتزام به ويسير عليه منكم من تزكية لذواتكم وهو محظور، فقد قال الله "فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ"

لي قبل الخوض في مناقشة هذه الشبهة، المزالق، نحسن التنبيه إلى عدد من القضايا منها،

القضية الأولى،

التسليم عمل قلبي عظيم، وأن مرد معرفة حصول تقصير فيه هو إلى صاحبه غالبا، وكثيرا ما يستشعر المرء من نفسه حرجا وإخلالا بهذا الأصل في لحظة مكاشفته، فالمرء بصير بعيوب نفسه وما يعتريه بقوله ده، فليتذكر أن الله مطلع على كامن النفوس بموجب ما سعى المرء في صلاح باطنه وظاهره فسيكون ذا حساسية عالية من اجتراح ما يخدش مقام التسليم

Scanned by CamScanner

لـ القضية الثانية:

لـ مناقشة هذه المزالق أساسا ليس من أجل محاكمة الآخرين في تسليمهم، وإنما القصد هو التأكيد على ضرورة ملاحظة الذات وتوارعها حيال نصوص الشريعة، والحذر من الاندفاع لواحد من هذه المزالق هدر النصوص تخلصا من عبء النص

لـ القضية الثالثة:

لـ من طبيعة الخلاف أن يبتدأ صغيرا ثم لا يلبث أن يتمدد ويتوسع، ومتى ما حرق الإنسان انضباطه المنهجي في مسألة شرعية فسرعان ما ستتكاثر هذه المزالق في مسائل متعددة

لـ القضية الرابعة:

لـ ما ينبه له قبل الخوض في معالجة مزالق هدر النص الشرعي بيان تفاوت رتب النصوص الشرعية من جهة الثبوت والدلالة، من المعلوم أن النص الشرعي إما أن يكون قطعيا / يقينا، أو ظنيا، والقطعية قد تكون في الثبوت والدلالة أو في واحد منهما، والظنية كذلك فمتى كان:

لـ النص قطعي الثبوت والدلالة: التسليم له واجب والمخالف له مذموم، فإن لم يعتقد القطعية فقد يعذر بالتأول والجهل

لـ إن كان النص ظنيا: التسليم له والإذعان متعين أيضا ولا يلغي وصف الظنية واجب التسليم للنص في الاعتقاد والعمل، وإنما يتعين التسليم للنص بحسب ما ترجح لقارئه من المعنى، ومما ينبه إليها أن معيار القطعية والظنية وأحكامهما هو معيار أهل السنة والجماعة لا معايير المبتدعة.

* المزلق الأول مشكلة القراءة *

لـ بيان المزلق:

لـ المشكل ليس في مبدأ التسليم والإذعان مع النص، وإنما في مطالبة دليل خاص للتسليم لقراءته الخاصة، فهذا هو محل الاعتراض

لـ المناقشة

لمعالجة هذه الإشكالية معرفيا ومنهجيا، ينبغي الإلمام بجملة من المعاني نلخصها فيما يلي:

أولا: بين قدسية الوحي وفهم غير المقدس:

لـ هذه الشبهة هي الأكثر حضورا في الخطاب العلماني الغربي، وهي شبهة مركزية عميقة وتتخذ أشكالا في الاسم لكن المسمى واحد كقولهم: "النص مقدس ولكن فهمه غير مقدس" "عندنا إسلامات متعددة فأيها نطبق" "يجب المحافظة على مسافة بين النص وبين قارئ النص"

Scanned by CamScanner

لـ هذه الإطلاقات فيها قدر من الإجمال أوجد ثغرة يتم من خلالها تسريب المضامين العلمانية، و محصلة التشبيهة النهائية أن الشريعة تكتسب قدسية زائفة نتيجة عدم الإقرار بطبيعتها الحقيقية.

و الشريعة لا تفسر نفسها بنفسها، و إنما يفسرها الإنسان: فبمجرد نزول الوحي ويقرؤه الناس ويتفاعلون معه، ويتحول من طبيعته التنزيلية إلى طبيعة تأويلية

لـ يمكن الإشكال هنا هو في تصوير الشريعة وكأنها مزيج هلامي متشابه لا يتمايز منه شيء عن شيء من جهة البيان والوضوح والقطعية، بل الكل قابل لقراءات متعددة متكاثرة، والحق أن الوحي فيه المحكم الذي لا محيد عنه، والمتشابه ما احتمل من التأويل أوجها، والمقصود إنما تأكيد على بطلان التصور الذي يحيل النص القرآني كله إلى طبيعة سيالة لا يمكن استثبات معانيه أبدا.

لـ لا يصح تهويل الوحي بأنه قطعة نصية من المتشابهات لا يقبل الانضباط التفسيري، بل لا بد من فرز أحوال الوحي بالتأكيد على أن منها ما هو بين بذاته ومنه ما يحتاج إلى اجتهاد وتأمل، إذا فلا يجوز الاعتراض على مبدأ التسليم للنص بدعوى تعدد القراءات بإطلاق.

لـ كثير من الذين يشوشون على محكم الشريعة بالمتشابه ويشغبون على الإسلام لا تراهم يلتزمون بنفس المنطق عند محاكمة الفكرة التي ينطلقون منها، فالاختلاف في المذاهب الوضعية أعمق وأوسع وأكثر من الاختلاف الحاصل في المشهد الإسلامي، كالليبرالية والماركسية وغيرها.

لـ ثانيا: الوحي بين الإحكام والتشابه:

لـ عند الحديث عن طبيعة النص القرآني من جهة الوضوح والبيان نجد أن الله سبحانه وتعالى لحكم أرادها جعل في الكتاب العزيز نصوصا محكمة وأخرى متشابهة، وبين أهل العلم طريقة التعامل مع النصوص فقال عز وجل: "هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ..... وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ"

و التأمل في هذا الهدي الشرعي تنزاح عنه أثقال الشبهات.

لـ الوحي فيه المحكم الواجب الالتزام به، والمتشابه الذي ينبغي رده إلى المحكم، ولن يتمكن العباد الإلمام للعبد جالم يضبط قاعدة المحكم والمتشابه، ومن رحمة الله أنه جعل محكمات الكتاب غالبة

لـ إذا علم هذا فلا يكفي أن يدعي الشخص تسليم لقراءته القرآنية دون ملاحظة هذا الأصل العظيم، ومن ما تعلق المرء بالمتشابه فهو معرض للوقوع في حبال تتعبض الوحي وطالع كلام أبي إسحاق الشاطبي ص 227

Scanned by CamScanner

ثالثا: من يملك حق التفسير؟

- إذا علمنا أن قسمة ابن عباس للتفسير "وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله"، فثمة مجال لا يعلمه إلا أهل الاختصاص وذلك لاختصاصهم بجملة من المعارف والعلوم تؤهلهم لمثل هذا النظر الشرعي، وهذا من البديهيات فإن للمختص امتياز في مجاله العلمي دون غيره، وترتيب نتائج على مثل هذه المنازعة خطأ وضلال مركب، ومن المغالطة ومن الجهل المركب.

- إن التخصص مطلوب في العلوم التطبيقية، دون العلوم الشرعية، بحجة أن الدين مكلف به كل مسلم، والتكليف يستلزم العلم؟!

- التكليف وإن كان يشترط له العلم، إلا أن الله لم يكلف الخلق كلهم أن يكون علمهم تفصيليا مبنيا على نظر في الأدلة، فالمسلم يلزم بالضرورة أن يكون متخصصا حتى يقيم عباداته وتكاليفه فقد قال الله عز وجل "فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ"، ومن الخطأ والخلط استدلال كلام الأئمة في ذم التقليد أنه لا يجوز.

- فالمعنى للكلام أنه على الجميع التوصل للحكم التفصيلي بالاجتهاد الشخصي، ولو فتح هذا الكلام لكان على المسلمين ترك جميع العلوم الأخرى والعمل على تعلم الدين

رابعا: ضوابط منهجية لفهم:

- مما ينبغي معالجته في هذه الإشكالية مراعاة منهج الفهم الصحيح للوحي، فقراءة الوحي ليست عملية عبثية، بل لها ملامح وحدود وخصائص، وتعريض الوحي لمناهج محدثة على خلاف طريق السلف في الفهم خطأ بلاشك، ثم جعل مجرد القراءة الحديثة مسلمة بها خطأ مضاعف، والناظر للبون الشاسع بين مناهج المتقدمين والمعاصرين لا يمكن إيراده في منهج الاستدلال والفهم الصحيح،

1: أدوات فهم الوحي مبثوثة في الوحي ذاته، فمن رحمة الله أن ضمن القرآن والسنة هذه الأدوات كقاعدة الجمع بين النصوص والمحكم والمتشابه وغيرها.

2: منهج الفهم الصحيح للنص يتكئ في الجملة على قطبين رئيسيين:

- علم بأصول الخطاب العربي - معرفة بأقوال السلف الصالح. طالع كلام شيخ الإسلام ص 220

3: اعتبار اللغة العربية ومعهود الأمين فيها أساسا لفهم الكتاب والسنة، فالوحي جاء باللسان العربي وتعددت الإشارة لهذا الأمر في القرآن. طالع كلام الحافظ السيوطي ص 220 والشاطبي ص 231

Scanned by CamScanner

4: يشكل الصحابة حضورا مركزيا في مفهوم السلف الصالح ومن بعدهم من التابعين وتابعيهم، وهم تلامذة ابني الأمين وقد عاصروا التنزيل وأحاطوا بكلام الوحي.

5: دلالة الوحي على اعتبار فهم الصحابة جاء بطرق معين:

مباشرة بالأمر بالاتباع غير مباشرة: ببيان الفضل والعلم

أ- من الدلالات القرآنية على هذا:

- قوله عز وجل: "وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ ..." وقوله عز وجل "وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ ..." "وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ"

ب- من السنة النبوية:

- قوله عليه الصلاة والسلام "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم" وغيرها من الأحاديث وآثار السلف.

ج- فينبغي أن ينظر المتأخرون في فهم الأولين وما كانوا عليه في العمل به

خامسا: من مشكلة التأويل إلى إعادة القراءة:

أ- مما أخبر به ابني الأمين أن مركزية الصراع في معركة الوحي ستنتقل نسبيا من مركز "التنزيل" إلى مركز "التأويل" ويدل على هذا حديث أبي سعيد الخدري "ص 239"

ب- ولا شك أن مساحة الجدل والاختلاف في مجال "فهم النص" أوسع وأكبر من مجال "ثبوت النص"، ويبرز عندنا في مشهد الانحراف في باب الفهم، مصطلحان هما الأكثر حضورا في معركة الفهم وهما:

- التأويل - إعادة القراءة

ج- التأويل:

يرد على معنيين صحيحين:

- التفسير: ومنه قول ابن عباس "أنا ممن يعلم تأويله" - الحقيقة التي يؤول إليها الشيء.

د- في المصطلح:

التأويل: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى احتمال مرجوح لقرينة صارفة، وهو مصطلح حادث غير معهود في العربية فلا يصح تنزيل خطاب الوحي عليه، وهذه أخذة ليست في الاصطلاح على معنى خاص للتأويل، فلا مشاحة في الاصطلاح، لكن المشاحة في تنزيل كلام الله ورسوله على هذا المعنى المحدث.

Scanned by CamScanner

أصل مشكلة التأويل في الباعث:

- أصل المشكلة هو في سبق جملة من الأصول والعقائد واحتلالها موقع الصدارة في النفس على حساب الوحي، فإذا وقع في الوحي ما يعجّ صفو تلك الأصول فإنه يتم الحكم عليها بالتحريف حتى يستقيم التأويل
- وطالع كلام ابن العربي في هذه الإشكالية ص 239 وكلام الشاطبي والجابري رحمهم الله.

أمارات التأويل الفاسد:

1- تأويل النص بما لا يحتمله بوضعه اللغوي، كتأويل الاستواء بالاستيلاء "ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ"

2- التأويل بما لا يحتمله اللفظ بسياقه الخاصة من تثنية أو جمع وإن احتمله مفردًا "لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ"

3- التأويل بما لا يحتمله سياقه وتركيبه وإن احتمله في غير ذلك السياق كتأويل قوله تعالى "هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ..." من سورة الأنعام بأن إتيان الرب إتيان بعض آياته التي هي أمره وهذا يأباه السياق

4- التأويل بما لم يُؤلف استعماله في ذلك المعنى في لغة المخاطب وإن أُلف في اصطلاح المحدث

5- تأويل اللفظ الذي اطرد استعماله في معنى هو ظاهر فيه، ولم يعهد استعماله في المعنى المؤول أو عهد استعماله فيه نادرًا فتأويله حينئذ رد وحمله على خلاف المعهود من استعماله باطل

6- كل تأويل يعود على أصل النص بالإبطال فهو باطل

7- تأويل اللفظ الذي له معنى ظاهر لا يفهم منه عند إطلاقه سواه بالمعنى الخفي الذي لا يطلع عليه إلا الأفراد من أهل النظر والكلام

8- التأويل الذي يوجب تعطيل المعنى الذي هو في غاية العلو إلى معنى دونه بمراتب كثيرة

9- تأويل النص اللفظ بمعنى لم يدل عليه دليل من السياق ولا معه قرينة تقتضيه

10- التأويل الباطل هذه صوره من جنس الإلحاد في آيات الله وطالع كلام شيخ الإسلام وتلميذه ص 242

إعادة قراءة النص:

- صورة من صور الخلل في تفعيل أداة التأويل في فهم الوحي، وبأخذ صور ومناهج مختلفة في مقاربة النص، ومع هذا الاختلاف فهي تشترك في جملة من القضايا الكلية والواقع بحركة صوب تبني هذه الرؤية في التعامل مع الوحي.
- وحيد التساؤل: لماذا يبذل هؤلاء جهدا إضافيا في مقاربتهم للوحي بما يتلاءم مع منظومتهم الفكرية المسبقة؟ والجواب يمكن إجماله في إدراكه في طبيعة الحاضنة الشعبية التي يتعامل معها العلماني الوعظي، فالأرضيات التي مروا بها كتجربة التقت فيما بينها في جملة من المتصورات الشرعية أفضت إلى جمود المشروع العلماني الوعظي

Scanned by CamScanner

لا يهجم المباشر على القيم الشرعية ولا من يدا من إثبات والتصلب على هذه القيم، وأكدت أن العداء ليس بين تيار العلمانيين والإسلاميين بقدر ما هو عداء للإسلام ذاته، وهذا ما دعا بالعلمانيين إلى ضرورة التخلي عن الإقصاء المباشر للوحي وضرورة إنقاذ هذه المتون من رؤاهم الفكرية عبر أدوات حداثية في فهم النص وقراءته وهذا ما يصرح به محمد عابد الجابري ص 243 - 244، فعملية التحديث الأوسع هي التراث ذاته بما يستدعي تفاعلا كبيرا معه وتخليصه من معانيه التراثية، وينادون إلى تحرير الخطاب العربي المعاصر من خطاب النص

لا النص المفتوح أساس القراءة الجديدة:

لا الأصل الذي تقوم عليه كل هذه الدراسات الجديدة هو جعل النص مفتوحا غير خاضع لمعنى محدد بل هو فضاء المعاني والمراد يجب أن يكون تفريغا للدلالة اللغوي عن حقيقته وإحالته إلى نص علامي سيال يلغي دوره في التوجيه والإرشاد

لا منطلقات هذه الدراسة لا موضوعية فيها ولا نزاهة إذ أن تطلب مراد المتكلم أي كان صفته وهو من البديهيات غير حاضر أصلا في هذا العبث، فالوحي عندهم مشكلة يحتاج إلى التخلص منها بتجييدها يناسب ذلك الجزاح من المعاني

لا كلام القراءة الجديدة:

لا بالرغم من تجديد القراءة ثم العبث بأحكام الحدود كإنكار حد الرجم وحد الردة والعبث بأحكام الأسرة وغيرها، وللأهمية والوقوف على تفاصيل هذا التحريف لنطالع رسالة د. خالد السيف "ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر اللغوي المعاصر... دراسة نقدية إسلامية" وكشف فيها تاريخ هذه الظاهرة، رموزها، أصولها، وأيضا كتاب أحمد الطعان "العلمانيون والقرآن الكريم... تاريخية النص"

* المزلق الثاني: مشكلة الخلاف *

لا بيان المزلق:

لا إن اختلاف أهل العلم مما يدل على أن صدأ التسليم ليس بهذا الإحكام، إذ لو كان كذلك لما وقع شيء من ذلك الاختلاف اللغوي، ولكان من موجب التسليم اتفاق الكل على قول واحد، وهو ما لم يقع فدل على مشروعية الخلاف، وأنه ناشئ عن معطيات موضوعية صحيحة كتفاوت الأفهام وسعة الاطلاع، ووجود الاختلاف في مسألة يرفع عنها واجب التسليم ويجعلها من مسائل الظن

لا المناقشة:

لا وجه الإشكال الناشئ عن عدم تصور أنواع الخلاف ورتبه، والموقف الشرعي الصحيح من كل نوع، ومعرفة ما هية التسليم المطلوب من كل نوع، ومما يعين على رفع الإشكال استحضار المسائل التالية

Scanned by CamScanner

لـ أولا: الاختلاف سنة ربانية:

لـ مما يُعلَم أن الخلاف بين البشر جميعا بين الإسلام ومخالفيه - سنة ربانية ماضية لا يمكن رفعها ولا إزالتها. فهو وقوع الاختلاف بين الناس ضروري لا بد منه، والواجب فهم طبيعة هذا الخلاف في إطاره الشرعي

لـ ثانيا: منشأ المشكلة الغفلة عن رتب المسائل:

لـ المسائل الخلافية ليست على مرتبة واحدة بل هي متباينة متفاوتة فلا يصح التعامل مع الكل تعاملا واحدا، فنقطل الأصول أحكام الفروع، والثوابت معطى المتغيرات، بل كل مسألة تتناول بما يليق بها، ومتى ما أخل هذا لم يظر الاختلاف بل يصير سعة ورحمة لا فرقة. طالع كلام شيخ الإسلام ص 253.

لـ ويمكن استحضار هذا التفاوت الواقع في المسائل المختلف فيها على رتب وهي:

1: جملة واسعة من الأصول والثوابت ومخالفه أهل الإسلام بالضرورة بل من الكفر هي جزء من الدين الجامع الذي لا يصح الاختلاف فيه بل يُدعَى إليه ويُسلَّم به، وهذه المسائل مما يتفاوت الناس في إدراكها حال الزمان والمكان

2: ثمة مسائل إجماعية مدركة عند أهل العلم، وهي كما سميها: مسائل الإجماع لا يصح فيها خلاف، فالأمة لا تجتمع على ضلالة، ومسائل الخلاف على ضربين:

أ: خلاف سائغ.

ب: خلاف غير سائغ إما لشذوذ في القول أو بعد الدليل، فلا يصح القول به وله أمارات كالتفرد برأي يخالف المشهور، أو مخالفة المبينة لنص المسألة وهو المعروف بزلة العالم، يحرم متابعته عليها وطالع كلام الشاطبي ومناظرة ابن المبارك رحمهم الله ص 255 - 256.

لـ الخلاف السائغ هو ما يقع في مسائل الاجتهاد مما لم يرد فيه نص أو إجماع، فالواجب فيه التحاذر والتحامل مع تطلب الحق فيه، وهو ما يقصده العلماء: "لا إنكار في مسائل الخلاف" بشرط أن يكون:

← بواعث مبني هذا الرأي المخالف هو طلب الحق وإرادة الوصول لمراد الله.

← سلوك الطرق الشرعية المعتبرة للترجيح بحسب طبيعة الناظر ونظره.

لـ الاجتهاد كما قد يقع في عين المسألة قد يقع أيضا في تصنيفها ومنه لدينا ثلاث دوائر من المسائل:

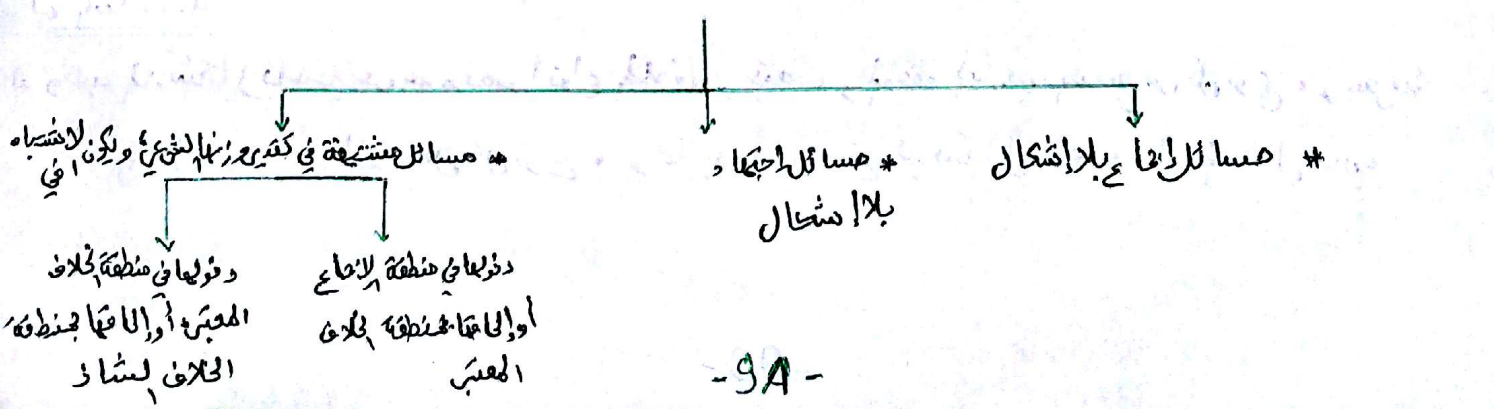

Scanned by CamScanner

ثالثا: تفاوت رتب المسائل وضرورة التسليم:

له الحديث عن الخلاف وتبيته وطريقة التعامل معه لا يعارض مع البتة تأكيد على أهمية التسليم لنص الشرع، وفي التسليم تأكيد على مرجعية الوحي وعدم صحة معارضة الوحي بأي معارف خارجي، فمع الإقرار بوجود نوع من الاختلاف السائغ المقبول فإن نطلب مراد الله واجب شرعي ضروري.

له لا يصح الاتكاء على وجود مسائل الاختلاف لتبرير الانتقاء فيها بالتشهي أو إدخالها في دائرة عباح أهلا بل الواجب تلمس الأقرب للحق مستعملا ما يناسب من أدوات الترجيح وطالع كلام شيخ الإسلام ص 258

رابعا: مصادر الاختلاف العلمي بين الاستنباط والتنزيل:

له أكثر اختلافات أهل العلم له أسباب موضوعية أدت إليه كالتفاوت في العلم بوجود النص أو بصحته ونحوها. ففي حال لم يعلم العالم بوجود النص فأفتى بخلافه فليس ثمة إخلال بتحقيق مقام التسليم إذ النص الذي يتعين التسليم له مجهول عنده، وكذا الأمر في درجة الحديث.

له كثير من الاختلافات بين أهل العلم لا ترجع إلى اختلاف في وجود النص ولا في صحته، إذ تصرف المفتي في العادة مركب من قضيتين:

← حكم شرعي مستنبط ← تنزيل لهذا الحكم على واقعة مخصوصة

له فيما قد يدخل عليها الخطأ إما من قصور في إدراك الحكم، أو خلل في معرفة الواقع، والخلل الذي يحصل بين المفتين إنما يكون في تحقيق مناط المسألة مع انطلاقهما من ذات الدليل، فالتسليم حاصل في هذه الحالة من الطرفين، وإنما وقع الخلاف لاعتبار آخر.

خامسا: خطورة تولد الأقوال:

له مما ينبغي التنبيه عليه في صلة التسليم بمسائل الخلاف، أن الخلاف المعتبر هو الخلاف الدائر بين أهل العلم؛ فلا يصح توليد أقوال خارج دائرهم، ولا يصح للمتأخر توليد أحكام فقهية في مسائل تكلم في عينها الأوائل، لأن تجويز إحداث قول ثالث على قولين في مسألة فهو في حقيقته تجويز لأن يكون الحق غائبا مطلقا في المسألة وهذا مخالف لمعنى الإجماع وفي الحديث "لا تزال طائفة من أمتي على الحق..." ويتناول هذا الأحكام الفقهية والتفسير.

سادسا: الاحتجاج بالخلاف للترخص:

له وجود الاختلاف في مسألة شرعية لا يصح أن يكون سببا في هدر النصوص الشرعية أو إضعاف صيد الالتزام بها، ولا يصح أنه إذا ما وقع خلاف في مسألة فإن المرء في سعة من الاختيار بين الأقوال، ومثله جعل مناط الالتزام بالنص كونه قطعي الثبوت قطعي الدلالة، إذ دائرة التعبد تقتضيها النصوص أوسع، والعبد ليس مطالبا بالعمل بما جزم بمراد الله تبارك وتعالى فيه وإنما يعمل بما اعتقد أو غلب على ظنه أنه مراد الله بما توفر لديه من أدوات الاجتهاد.

له لم يجعل الشارع مطلق الخلاف ذريعة للتفلت من أحكام الوحي. طالع كلام العلماء في هذا ص 262

Scanned by CamScanner

- يترتب على القول بحجية الخلاف الفقهي لوازم فاسدة منها :

1 : عدم إلزامية الوحي إلا ما كان مجمعا عليه ، وهذا مذهب باطل لم يقل به عالم قط

2 : إباحة التخلص مطلقا فيما اختلف في حرمته ، والذي يجوز في حقيقته تتبعا لرخص الفقهاء ، ولتتبع حذر السلف منها.

3 : يتضمن تعليلا لمقصد الابتلاء في وضع الشريعة

4 : يتضمن إسقاط التكليف جملة بأحكام الشريعة في كل ما وقع فيه الاختلاف.

* المرتقى الثالث : مشكلة المقاصد *

- بيان الفرق :

- التسليم لله ورسوله جزء من بنية شرعية متكاملة مبنية على مراعاة المصالح ودرء المفاسد ، فإذا كان فهم نص جزئي ينافي المصلحة أو يستجلب مفسدة لم يكن التسليم له متسقا مع الشريعة بل مضادا لها ، فالتسليم للمقاصد والكليات أولى من التسليم للفروع والجزئيات ، والخضوع لروح الشريعة ومقاصدها مقدم على الأخذ ببعض النصوص التفصيلية ، فالكليات مقصودة والتفصيليات مجرد وسائل لتحقيق تلك المقاصد

- للجواب على هذه الإشكالية ينبغي مراعاة المسائل التالية

أولا : منشأ من وحي الاحتجاج المقاصدي :

- لقد بات مصطلح "المقاصدية" من المصطلحات الموشومة والتي تثير المخاوف ، لماذا نجد "رؤية مقاصدية" إلا ويغلب على الظن أن البحث سيجنح صوب التخفف من الضوابط الشرعية

- لا بد من الانتباه بين يدي هذه المسائل ولو قدم خطوة منطلقا من تعظيم الشرع وبيان من وجد في "نظرية المقاصد" وسيلة لتعطيل الشريعة باسم الشريعة وهذا من مناهج التداول العلماني الحديث لهذه النظرية

- وتتجلى عدم الموضوعية في هذه النظرية في الخطاب العلماني في التفلت ببعض أدوات الشريعة وتغيير الخطاب الشرعي لتغيير البيئة الخطاب العلماني ، فتغير الجمهور ومستوى المعارضة يؤثر مباشرة في درجة الاستمساك بالأدوات الشرعية في معركة الإسلام والعلمانية ، وتأمل في هاتين القطعتين :

- القطعة الأولى :

← لقطعة المسائل التي يشتغل بها الخطاب العلماني وتفاوتها بتفاوت الفضاءات التي يعمل فيها ، فإذا كانت البيئة يهيمن عليها الشرعي يكون البحث في مشروعية الاختلاط مثلا بضوابطه الشرعية والعكس.

- القطعة الثانية :

← اصطفاف علمانيو الداخل والخارج في مسائل يظهر فيها أن اختيارات الخطاب العلماني يتماهى مع بعض الخطابات الإسلامية الناعمة في الخارج ، لكن سرعان ما تتبدد هذه التقاطعات في القطعة التي يقع فيها الخلاف بين الخط العلماني الخارجي والخط الإسلامي الناعم.

← التعلق بأدوات الشريعة في ترويج الفكرة العلمانية موقف غير موضوعي بقدر ما هو براغماتي نفعي.

Scanned by CamScanner

ثانيا: مشكلة الخطاب الحداثي المقاصدي:

وجه الإشكال في طرد "نظرية المقاصد" وجعلها أصلا تهدر لأجله الأحكام الجزئية التفصيلية قيامها على مقدمتين مشكلتين:

المقدمة الأولى: أن معرفة المقاصد عملية منفكة عن إدراك أحكام التشريعات التفصيلية

المقدمة الثانية: التشريعات التفصيلية مجرد وسائل لغايات تمثلها مقاصد الشريعة

تفصيل المقدمة الأولى:

من الواضح تماما أن هناك خللا في تحديد منهجية التعرف على المقاصد، فالخطاب العلماني لا يقدم لنا مفهوما للمصلحة التي تعارض بها النصوص، ولا منهجية منضبطة لمعرفة تلك المصالح، بل قُصارى ما يفيده حالة من التغني بأهمية النظرية، وأنها تمثل منظومة حاكمة على التشريعات الجزئية، دون عناء بضبط مفهوم المقاصد وتحديد معالمها، ومؤلفاتهم في هذا كثيرة مثل "حسن حنفي" ص 270

ولو عقدنا مقارنة بين الفقهاء والأصوليين مع الحداثيين لوجدنا أن الأوائل استوعبوا كل ما تتطلبه المصلحة من مهام بخلاف الحداثيين

وبالتأمل في الخطاب العلماني يرى حالة الاختزال الشديد لمفهوم "المقصد الشرعي" وغاية دلالاته "متطلبات مادية دنيوية" بيد أن "المصالح الأخروية" في النظر الشرعي أعمق وأكبر و"الدين" يقف على أهم الضرورات الخمس وطالع كلام الشاطبي رحمه الله ص 272 - 273.

وطالع بعض الجزم بالدلالة على تقدم المصالح الأخروية على المصالح الدنيوية في خطاب الوحي ص 273.

لا يفهم محاسبة الخطاب المطلق للمصالح الدنيا وإنما التأكيد على وجود مفهوم "المصالح الأخروية" أولا، وإلا فقد جاء في الوحي ما يدل صراحة على مراعاة المصالح الدنيوية بما لا يخل بالمصالح الأخروية.

من تجليات الخطاب العلماني مع مفهوم المقاصد الشرعية الفقه الشديد في عملية استقراء النصوص الشرعية.

وانعقد مقارنة بين الفقهاء والأصوليين ثم الحداثيين في مسائل مقاصد الشرع وسنرى اليوم الشاسع في هذا.

تفصيل المقدمة الثانية:

لكون التشريعات التفصيلية مجرد وسائل للمقاصد وهذه الوسائل يمكن استبدالها بغيرها من ما حققت تلك المقاصد توقع الإشكال هنا فرعٌ عن مشكلة منهج استخراج مقاصد الشرع عند هؤلاء، وبالتالي تتراجع قيمة الأمور الشرعية والمنهيات لتنحدر إلى قيم مادية ودنيوية، فالحياء عندهم مثلا هو لتحقيق "الحمية الصحية"

دعوى إمكانية استبدال أحكام الشريعة التفصيلية بأحكام أخرى تحقق عين مقاصدها يتضمن جرعة عالية من "الغرور المعرفي" بادعاء معرفة تفاصيل المقصد الشرعي لتلك الأحكام وحدودها ثم ادعاء أن ثمة وسائل أخرى تحقق عين المقصد الذي تطلبته الشريعة بتلك التشريعات، وما يؤكد حالة الغرور المعرفي ادعاء أولئك في إمكان إيجاد بدائل للوسائل الشرعية بحجة أن الشريعة إنما جاءت بأحكامها لمصلحة ذلك العصر، فإذا تحققت مقاصدها في ترفيه الروح فلسنا ملزمين بالتفاصيل التشريعية

Scanned by CamScanner

ثالثا: حقيقة الاجتهادات الجزئية بين خطابين:

من أكثر ما يستدل به الخطاب العلماني في مقام تقرير الصدام بين الأحكام التشريعية الجزئية ومقاصد الشريعة الكلية اجتهادات الخليفة الراشد عمر رضي الله عنه حين تولى الخلافة كتعطيل حد السرقة عام الرمادة وغيرها، فاغتنم العلمانيون هذه الفرصة، ولم يغب أولئك أن هذه الاجتهادات تتضمن فقها عميقا وأن عمر رضي الله عنه لم ينقلب على الشريعة وسيتضح ذلك من خلال:

- أن كثيرا ممن يوظف هذه الاجتهادات في سياق صدر الشريعة يوظفها بلا قناعة وإنما لأنه وجد فيها أداة لتمرير مشروعه العلماني
- تعطيل حد السرقة عام الرمادة نشأ حين قامت الشبهة بالمجاعة من القطع ومن شروط الشريعة في القطع:
  - أن يبلغ المسروق نصابا لا أن يكون من حرز لا أن لا يكون آخذه محتاجا إليه لسد رمقه.
  - وهذا الأخير كان حاضرا في مشهد عام الرمادة، وإيقاف تطبيق الحد إيقاف زمني مؤقت
- ترك إعطاء المؤلفة قلوبهم من الزكاة وطالع كلام الإمام البيهقي ص 282.
- كثيرا ما يعمد العلمانيون إلى الانتقائية في الاستدلال بالاجتهادات العمرية. طالع ص 283 والأخبار الواردة في ذلك

ابعاد الطوفي والشاطبي في ميزان الشريعة والحداثة:

لا يكاد يختلف في الخطاب العلماني على هاتين الشخصيتين ولكن بمراء من أصحاب ذلك الخطاب بل هما على الضد منه

- نجم الدين الطوفي:
  - من الأصوليين والفقهاء الحنابلة المشاهير ويرتبط اسمه كثيرا بالمباحث الفكرية والأصولية بالمصلحة حتى نُسب إليه القول بـ "تقديم المصلحة على النص" وهو أحد أهم مرتكزات الخطاب العلماني الحزبي
  - الطوفي بحث في مسألة "المصلحة" في "شرح مختصر الروضة" و"شرح" الأربعين النووية"
  - والحق أن أكثر ما أشكل في كلامه، وهو الذي ولّد اسم "الطوفي" ومصطلح "المصلحة" هو كلامه في شرح حديث "لا ضرر ولا ضرار"

المعالم الرئيسية من حديث "لا ضرر ولا ضرار" عند نظرية المصلحة للطوفي:

- أدلة الشريعة دالة على رعاية المصلحة، بل الشريعة موضوعة لتحصيل المصلحة.
- حديث "لا ضرر ولا ضرار" يقتضي رعاية المصالح إثباتا وإلغاء المفاسد نفيا.
- أصل إعمال هذا الحديث على عمومه إلا ما جاء الدليل بتخصيصه كالحدود والعقوبات
- عموم الحديث يقتضي تقديم مقتضاه على جميع أدلة الشرع وتخصيصها به في نفي الضرر.
- طالع المعالم الرئيسية في هذه النقطة. وهي بعض معالم "نظرية المصلحة" عند الطوفي وهي مركبة من جملة من العناصر التي لا يسوغ بحال من الأحوال اختزالها ذاك الاختزال الشديد والذي يعارضه هنا تبين حال استعراضهم لهذه النظرية.
- نظرية الطوفي في عناصرها الجوهرية تدور في فلك التقرير الأصولي التقليدي والذي يجيء تحت عنوان "تخصيص النص"

Scanned by CamScanner

من الإشكاليات في معالجة الطوفي لهذه المسألة

- حماسته الزائدة في تقرير أهمية المصلحة و موقعها من الأدلة الشرعية، بما يوحي أن كلامه مخالف للأصوليين.
- ثمة قدر من الإجمال و الاشتباه و الإشكال في كلامه، بل و سوء تعبير في بعض المواضع أدت إلى تحميل كلامه بعض المعاني التي ظاهرها، مثل إطلاق " المصلحة تقدم على النص و الإجماع"
- استدلاله يبدو للأدلة عند تأصيله لهذه المسألة دون إجابة عن بعض النصوص و بعضها موضع لمعان فاسدة جدًا
- عدم التمثيل بتطبيقات لقاعدة " تقديم المصلحة على النص و الإجماع" حتى يتأتى تحرير القاعدة بدقة.
- حالة الغموض التي تكتنف شخصية الطوفي، والتي انتهى مع حنبليته بأنه ظاهري انتشر ببراهيني.

الفوارق بين تقريرات الطوفي و الخطاب العلماني:

الفرق الأول:

- نظرة التقديس لطبيعة المصالح وشموليتها للمصالح الدنيوية و الأخروية، فالطوفي شأنه شأن علماء الإسلام في إعطاء المصلحة بعدا شموليا يشمل مصالح الدارين مخالفا الخطاب العلماني.

الفرق الثاني:

- أثر طبيعة النص، فإطلاقات الطوفي والتي توهم بتقديم المصلحة على النص إنما يتناول بعض الحلول الخاصة للنص العام فتأتي المصلحة بتخصيصه في أبواب المعاملات دون العبادات والمقدرات

الفرق الثالث:

- أثر طبيعة المسائل التي يتناولها هذا التأسيس فالعبادات والمقدرات خارجة عن مقررات الطوفي في نظرية المصلحة.

الفرق الرابع:

- أثر منهجية النظر في النصوص، فالطوفي وغيره من أهل العلم إنما يقصدون الجمع بين النصوص و إعمال كافة الأدلة خلافا لمنطلقات الخطاب العلماني.

الفرق الخامس:

- الفارق في معنى التقديم في نظرية " تقديم المصلحة على النص" فالتقديم عند الطوفي لا يعني إلغاء النص وفاعليته وإنما هو من قبيل التخصيص للنص، وهي ترجمة من تقريرات الأصوليين في مبحث تخصيص النص.

- إبراهيم بن موسى الشاطبي:

لـ نظرية " المقاصد" ترتبط اسم بالشاطبي، وحظي كتابه " الموافقات" بثناءات كثيرة من العلماء عليه ويثني عليه المعاصرون لأنه حسبهم استطاع أن يحرر العقل العربي من سلطة النص إلى فضاء المقاصد.

لـ نحن أمام لقطتين اثنتين في مسيرة المشهد الأصولي الفقهي:

1: لقطة الإمام الشافعي و الرسالة: تعبر في المعنى العام عن حالة الانغلاق و اللاعقلانية في الفكر الإسلامي.

1: لقطة الإمام الشاطبي و الموافقات: تعبر عن وعي شديد العقلانية و الانفتاح ولنا تأسيس الخطاب فقهي متطور

Scanned by CamScanner

لم يقتصر الأمر في مجرد الاحتفاء بأطروحة الشاطبي وإنما تعدى في توظيفها لهدر أحكام الشريعة التفصيلية، متوهمين أن استيلاء الشاطبي في المجال الفقهي سيحقق جملة من المكاسب التحديثية في هذا المجال بـ:

1: تكثيف حضور المعالجة الدينية في الخطاب الشرعي خصوصا، والخطاب العربي والثقافي عموما.

2: تحرير العقل المسلم من التعقيدات الفقهية، والاستغراق في التفاصيل والجزئيات، لدوران أحكامه حول المسائل الكلية.

ومنه يتولد لدينا من خلال هذين العاملين فقه إسلامي مشبع بروح العصر والشريعة بعيدا عن سلطة التفصيلات والجزئيات.

معالجة الإشكاليات حيال تراث الشاطبي المقاصدي يدور حول أوهام أربعة رئيسية:

الإشكالية الأولى: الشاطبي والتساهل الفقهي:

يدار من التراث الشاطبي يرى أنه على درجة عالية من الانضباط الفقهي، بعيدا عن مظاهر التمييع والتساهل وفكرة معالجة هذه القضية من زاويتين:

الجانب الأول: الجانب التأسيسي لأرضية الشاطبي في ظاهرتي التساهل الفقهي والبدعي وسيرتهما العلمية والمقاومتهما:

إذا استعرضنا طرفا من حياة الشاطبي رحمه الله في هذا الجانب فإننا نرى انضباطه في جانب الفقه والبدعة ويتجلى ذلك في أمور: (هذه الفقرة أخذتها من تلخيص الأخ منصور الهباد من الدفعة 2 الصناعة المعاصرة)

خلافة لابن لبابة في تيسيره وعبر الشاطبي عن ألمه من مظاهر التساهل الفقهي. ص 303.

الجانب الثاني: الشاطبي والتأصيل للمحافظة الفقهية:

تتجلى مظاهر الانضباط الفقهي عند الشاطبي فيما يلي:

1: التأكيد المستمر على أن الشريعة موضوعة للابتلاء على خلاف الهوى:

يؤكد هذا الشاطبي ويقول أن المقصد الشرعي من وضع الشريعة هو إخراج المكلف عن داعية هواه فيكون عبد الله اختيارا

2: نقد ظاهرة تتبع رخص الفقهاء 3: نقده لظاهرة التوسع في الترخصات.

4: تأكيده على ضرورة لزوم طريقة العدل/الوسط في المنهج الفقهي 5: موقفه من الفتوى بالرأي المذموم.

6: تحرجه للقول على الله بغير علم 7: تحذيره من الأخذ بزلل العلماء. 8: تقريره لقاعدة سد الذريعة.

9: موقع المستحبات من فقه الشاطبي 10: لزوم موافقة عمل المفتي لقوله 11: التقيد بالمشهور من فقه المالكية.

12: فتاوى شاطبيه 13: التنبيه على مقتضى الورع.

الإشكالية الثانية: الشاطبي وقيمة الجزئيات:

من أكثر الأوهام شائعة بين طوائف الفكر المختلفة حول مقاصد الشريعة والشاطبي ظنهم أن هذا التراث الفقهي الأصولي يؤدي إلى التقليل من قيمة الجزئيات والنصوص التفصيلية ليحل كبديل عنها المقاصد الكلية

والحقيقة أن الشاطبي بعيد كل البعد عن هذا التصور فهو يؤكد على ضرورة اعتبار الجزئيات والكليات عند التنظير الفقهي. وطالع كلامه في هذا ص 318-320.

Scanned by CamScanner

لـ الإشكالية الثالثة: الشاطبي وموقع المصالح الدنيوية:

لـ من الأوهام الخطيرة أن الأخذ بفقه الشاطبي سيضمن حضورا مركزيا للمصالح الدنيوية على حساب مركزية المصالح الأخروية. ولعل منشأ هذا الوهم اجتزاء كلمة الشاطبي "أن الشريعة موضوعة لمصالح العباد" دون استقراء لمفهوم "مصالح العباد" في مشروع الشاطبي، ومفهوم المصلحة عند الشاطبي شمولي للدنيا والآخرة وطالع كلامه ص 321.

لـ الإشكالية الرابعة: الشاطبي وحالة القطيعة الفقهية/الأصولية عن الموروث السابق:

لـ يحاول الحداثيون تصوير عمل الشاطبي على أنه يمثل لحظة مفصلية في تاريخ علم الأصول منقطعة ومرفيا عن السياق الأصولي السابق والذي يسم معالم الشافعي.

لـ لكن المتأمل والقارئ في موروث الشاطبي يتضح له تماما ذلك الانسجام المنهجي العالي بين واقع الشاطبي ومن تقدمه من أهل العلم وطالع كلامه رحمه الله ص 322

لـ أورد المؤلف عديد الإسهامات للعلماء الأمة والتي تؤكد أن الشاطبي لم يبتدئ عنهم ص 323.

لـ موقف الإمام الشاطبي من اللغة العربية:

لـ أحد جذوع الأخذ الكبرى التي أخذها أولئك على الإمام الشاطبي أطروحته البيانية اللغوية والتي تؤكد على أهمية اللغة كمادة أصيلة للاجتهاد الفقهي. ويؤكد اعتناء الشاطبي باللغة العربية ماله من المصنفات المفردة في شأن العلوم العربية منها "أصول النحو"

لـ موقف الشاطبي من الاستدلال العقلي:

لـ قرر رحمه الله أن العقل ليس بشارع ويؤكد على تبعية العقل للنقل وطالع كلامه ص 329

لـ الفوارق الجوهرية بين خطاب الشاطبي والخطابات الحداثية/العلمانية:

← الفارق الأول:

لـ لم يكتف الشاطبي بالدعوة إلى إعمال المقاصد والاهتمام بالكليات بل جعل لهذا ضوابط منهجية صارمة، وأيضا في كيفية التفاعل الفقهي معها وعلاقتها بالتفصيليات الشرعية خلافا للخطاب الحداثي.

← الفارق الثاني:

لـ إذا افتكنا مفردة المقاصد فسنجد الشاطبي قد نص على جملة من المقاصد والتي لا توافق الخطاب الحداثي

لـ الفارق الثالث:

لـ الشاطبي يطالب باعتبار الجزئيات والكليات جميعا فهذه دعوة إلى زيادة الانضباط الاستدلالي خلافا للحداثيين.

← الفارق الرابع:

لـ المتبصر بالواقع العلمي العملي للشاطبي يدرك حجم الفرق بين تقرير أصولي فقهي يزيد في الاستمساك بأصول الشريعة وخطاب حداثي علماني بعيد عن الاستمساك بهدي الوحي وحصر مجال التدين في التعبد الذاتي فقط.

Scanned by CamScanner

* المزلق الرابع: مشكلة تغير الفتوى والأحكام *

بيان المزلق:

من عظمة الشريعة توافقها مع متغيرات الواقع، فهي ليست مجرد نصوص صلبة بل هي تتفاعل مع الواقع، وأصل الفقهاء هذا "الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان" فالتسليم للنص لا يكون إلا بمراعاة معطيات الواقع ومتغيراته لا بالجمود على ألفاظه وحروفه.

لماذا قسته:

وهذه الشبهة واحد من أهم الأدوات المستعملة لهدم أحكام الشريعة التفصيلية، وهي تتخذ:

← صورا غالية جدا تدعي قطيعة زمانية ومكانية مع النص تحت دعوى "تاريخية النص والتشريع" بادعاء أن النص الديني إنما نزل في ظرف أوضاع وظروف زمانية خاصة فلا يصح عزله عن سياقه الزماني والمكاني ولا يصح استدلاله لحياتنا اليوم.

← صورا عامة أخف لا تظهر المصادمة لمبدأ تطبيق الشريعة وإنما تنتظم على قاعدة "تغير الأحكام بتغير الزمان والمكان" لهدم بعض الأحكام الشرعية مما يرى أنه وجب تركه لاعتبارات يراها، وطالع كلام عزيزي هم ص 333 - 337.

وجه الجواب على هاتين الشبهتين في العناصر التالية:

أولا: الشريعة بين الثبات والشمول:

من قواطع الشريعة تقريرها هيمنتها وحاكميتها على الواقع وتستغرق مجال الزمان والمكان وتمتد باطراد الواقع فهي شريعة الثبات والشمول. طالع كلام ابن القيم ص 338 وكلام شيخ الإسلام.

الوحي يكتسب طابع الشمولية عبر تعليق الأحكام بالأنواع فيندرج فيها أنواع الحوادث. ص 338.

أو بقيا من غير المنصوص على حكم المنصوص وتوجد دلالات في تقرير هذه الحقيقة الشرعية البديهية:

أن الله حصر حق الحكم والتشريع في نفسه سبحانه:

"إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ"

أن الله تعالى أثنى على حكمه:

"أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ"

أن الله بين أن وحيه شامل لكافة احتياجات العباد وأن حكمه جاء مفصلا مبينا:

"وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا"

أن الله بين كمال شرعته ودينه:

"الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا"

أن الله تكفل بحفظ شرعه وبين أنه لا مبدل لحكمه سبحانه ولا معقب له.

أن الله أنزل هذه الشريعة لتكون حاكمة على العباد.

أن الله أوجب على العباد تحكيم شريعته والتحاكم إليها.

Scanned by CamScanner

- أن الله نفى عن الإنسان حق الخروج عن حكمه.
- أن الله جعل متابعة غير شرعته ضلالا مبينا.

- طالع كلام محمد أركون الذي تحاول المنازعة في أن الشريعة لا تصلح لهذا الزمان ص 345.
- من تصفح نصوص الشريعة فسيجد مادة كبيرة من التشريعات العلمية والجزئية التي تتعلق بالشأن الدنيوي من مسائل المعاملات والأحكام وغيرها، وهذا يقرر مبدأ هيمنة الشريعة وحاكميتها.

ثانيا: تحرير القول في قاعدة "تغير الأحكام بتغير الزمان والمكان"

- هذه القاعدة تكلم فيها غير واحد من أهل العلم، ومن وسّع البحث فيها ابن القيم في إعلام الموقعين، وهذه القاعدة حاول أصحابها الخطاب العلماني لهدم أحكام الشريعة تحت ذريعة عدم مناسبة تلك الأحكام والنظر وفق هذا الزمان، وحتى يتضح البيان في التعامل مع هذه القاعدة بين الأصوليين والعلمانيين ينبغي ملاحظة ما يلي:

أولا: وصف أحكام الشريعة بالعموم والثبات والشمول هو أصل شرعي محكم يجب الانطلاق منه في بحث مسألة تغير الأحكام بتغير الزمان والمكان لا قلب المسألة، فالعموم والشمول للزمان.

ثانيا:

منطلق أهل العلم في تأصيل هذه القاعدة هو ملاحظة تصرف الشريعة ذاتها، فهي قد راعت التغيرات الطارئة على الواقع الناشئة عن تغير الزمان والمكان والأعراف والعوائد، وبملاحظة تصرفات الشارع جاء هذا التأصيل والنظر الفقهي

ثالثا:

ثمة قدر من الإجمال في تعبيرات هذه القاعدة تسبب في حالة التوظيف العلماني لها، ولعل ورود هذه القاعدة في النطاق الفقهي وتداولها بين أهل العلم صانها من سوء التوظيف، وقد وجد من علماء الأصول من أبدى قدرا من التحفظ على هذه القاعدة كالزركشي ص 348.

رابعا:

منشأ الاشتباه في توظيف سلبي لهذه القاعدة يكمن في الخلل في تصور طبيعة الواقع الذي تغير لأجله الفتوى، وتفكيك طبيعة الواقع سيجعل قدرا كبيرا من شبهة التوظيف الخاطئ لهذه القاعدة، فالتغير في الحكم إنما هو ناشئ عن تغير الواقع أو مناط الحكم، الذي يتأثر بالزمان والمكان، لا أن مجرد تغير الزمان والمكان يؤثر في الحكم.

فمتى ما كان مناط الحكم واحد مع تغير الأزمنة والأمكنة فمن الطبيعي أن يكون حكم الشريعة فيها واحدا ولو تغير الزمان والمكان أما إن كان هناك تغير في طبيعة الواقعة التي اتصل بها الحكم فهذه الفوارق قد تكون مؤثرة في إعطاء الواقعتين أحكاما مختلفة، وقد لا تكون مؤثرة؛ لأن الفارق بين طبيعة الوقائع لا يلزم بالضرورة أن تكون مؤثرة في الحكم مع التنبه إلى أن الحكم بتأثير الأوصاف من عدمها راجع إلى تقدير الشارع. (من ملخص الأخ منصور الهياد من الدفعة السابقة)

هادي عبيري

Scanned by CamScanner

خامسا:

لم عند لنا فيق في حقيقة ما أدرجة أهل العلم تحت هذه القاعدة من أمثلة وشواهد يلحظ أن ثمة قدرا من التوسع في التمثيل ان المندرجة تحت مفهوم "تغير الأحكام بتغير الزمان والمكان"، والقاعدة توهم أن ثمة قدرا من التغير طرأ على الشريعة ذاتها استجابة لمعطيات الواقع وهذا ما لم يرده قائلوه ولم تدل عليه إطلاقا الأمثلة والنماذج في هذه القاعدة؛ وبيان طبيعة التجوز في تعبيرات القاعدة يتضح مما تم إدراجه مثل:

1 - إدخال البعض "للحكم الذي يتخلف فيه المناط وتختل فيه الشروط" تحت هذه القاعدة، مع أن التغير هنا ليس تغيرا في الحكم لأجل الزمان أو المكان، بل بسبب تغير المناط وتخلف الشروط، كما في شرط الاستطاعة لوجوب الحج.

2 - إدخالهم لبعض "المسائل التي نص الشارع على استثنائها" مراعاة لواقع معين كترك قطع الأيدي وقت الغزو، فمثل هذا وإن كانت الشريعة قد راعت الواقع فيه، إلا أنه لا يدخل تحت هذه القاعدة، لأنه من تقرير الشريعة ابتداء.

3 - إدخالهم لبعض "المسائل التي جعل الشارع مناط الحكم فيها متعلقا بالعرف" فهي تختلف باختلافه، وهذا ليس داخلا في القاعدة، لأنه لا يوجد تغير حقيقي في الحكم، كحد السفر المبيح للقصر والفطر (على القول بأن الضابط هو العرف) وكمقدار حد الإطعام والكسوة في كفارة اليمين.

سادسا:

من التعبيرات عن هذه القاعدة استعمال كلمة "الفتوى" كبديل عن التغير بالأحكام، وهو استعمال أكثر انضباطا وأرفع للبس والإبهام، ذلك لأن الفتوى ناتجة عن اجتهاد المفتي في الحكم، ثم تنزيل الحكم على الواقع؛ وهذا الواقع قد يتخلف فتتغير الفتوى؛ فالفتوى قد تتغير، بسبب مراعاة تجدد العرف، أو تحقق وجود المناط، أو موازنات المصالح والمفاسد، أو لتراجع المجتهد عن اجتهاده. (النقطة 5 - من تلخيص الأخ منصور الهباد)

ثالثا: فقه الإمام الشافعي بين القديم والجديد:

من التوظيفات التي مارسها الخطاب العلماني/الحداثي لتبرير تلاعبهم بأحكام الشريعة التفصيلية، الواقع الفقهي/التاريخي لمذهب الإمام الشافعي، فله مذهبان مشهوران، الأول كان في العراق والثاني بعد انتقاله عنها لمصر، والتغير الطارئ في فقه الشافعي عند هؤلاء هو صادر عن تغير البيئة، وهو مؤثر الزمان والمكان، والجواب عن هذه الإشكالية من خلال ما يلي:

أولا:

نسبة القديم والجديد إلى مذهب الشافعي نسبة اصطلاحية، كان المقصود منها بيان قدر من التغير الذي طرأ على اجتهادات الشافعي الفقهية، وتم ضبط المذهب القديم زمانيا من بداية إفتائه إلى 199 هـ وجمهور ذلك واقع منه بالعراق وتخلله وجود في مكة، وألف في هذه المدة "الحجة" و"الرسالة" القديمة، ثم انتقل إلى مصر وتوفي فيه سنة 204 هـ وغير الكثير من اجتهاداته وألف "الأم" و"الرسالة" الجديدة وهذه الفترة هي المذهب الجديد. والشافعي في مصر زاد من تحرير كتبه وانتفع بما حصله من معارف وعلوم سابقة

Scanned by CamScanner

ثانيا:

من المهم الكشف عن بواعث هذا التغيير الفقهي الذي وقع من الإمام الشافعي، وبهذا تظهر المغالطة التي يستعجلها الحداثيون لهدم نصوص الشريعة، تحت دعاوى تغير الزمان والمكان، هذه البواعث بالاستقراء فقه الشافعي وبعض القرائن الخارجية لا تكاد تخرج عن:

1. اتساع دائرة المعرفة بالاطلاعه على كثير من السنن والآثار مما لم يكن قد سمعها من قبل خصوصا خصوصا في رحلته الأخيرة لمكة والتي سافر عقبها لمصر.

2. اعتماده على قياس ونظر جديد في أدلة الشريعة رجحت القول الثاني عن الأول.

3. اختلافات عرفية مؤثرة في فقه الشريعة، أوقضايا اعتبرها الشارع في ترتيب الأحكام كالضرورة والحاجة وسد الذرائع وغير ذلك مما يتغير بتغير الزمان والمكان مع اعتبار الشارع لهذا التغيير

ثالثا:

يؤكد ما تقدم من هو ضوعية المبررات التي سوغت للإمام رحمه الله الخروج عن القول الأول ما يلي:

1: عدم تجويزه لإعمال فقهه العراقي في عبارته "ليس في حل من روى عني القديم"

لدل هذا إلى أن التغير عائد في الحقيقة إلى نظر فقهي جديد في الأدلة الشرعية ثبوتا وفهما

2: أئمة المذهب الشافعي كانوا واعين بأن للإمام الشافعي أسبابا شرعية معتبرة في تغيير جملة من آرائه الفقهية. وما كان يخرج من قول فقهي إلا بدليل أرجح، طالع كلام الجويني والمزني ص 357-358

3: تصريح أئمة الشافعية بعدم جواز تقليد الشافعي في مذهبه القديم مما رجع عنه، ولو كان التقليد عراقيا، وهذا دليل على أن الاجتهاد الفقهي مبني على نظر شرعي.

4: تصريح أئمة الشافعية بأن ما لم يتغير فيه اجتهاد الشافعي من اختياراته من مذهبه العراقي القديم ولم يحدث فيه مذهبا جديدا فهو مذهبه، وهو ما يؤكد على طبيعة تطلب الحق في التغير الطارئ على مذهب الشافعي، واختياراته هي طلب لدليل راجح على دليل مرجوح وليس ناشئا عن تغير الزمان والمكان.

5: من الملاحظ أن ثمة قد رمن الخلاف بين أئمة الشافعية في تأريخ مذهبه وهذا يؤكد على أن تغير البيئة فقط والزمان والمكان لم تكن هي العامل الرئيسي فقط بل هو النظر في دلائل الشرع.

6: بالاستقراء الفوارق بين المذهبين القديم والجديد نجد جملة لا بأس بها من المسائل التي رجع عنها لا علاقة لها مطلقا بتغير مراعاة البيئة الجديدة أو مطلق التسهيل بقدر ماهو النظر في الأدلة الشرعية. طالع بعض الأمثلة ص 360

7: الإمام الشافعي شديد التحري للدليل الشرعي وله في ذلك تعبيرات حسنة وقال "إذا صح الدليل فهو مذهبي" وطالع أمثلة في هذا ص 361-362.

Scanned by CamScanner

* المزلق الخامس: مشكلة العقل *

بيان المزلق:

لـ من أجل نحمد الله على عباده نعمة العقل وهو الفيصل بين الإنسان والحيوان، وبه عرفنا صحة النبوة وصدق الوحي فلا بد من اعتباره مرجعا في حال اختلف مع النصوص، إذ هو الكاشف عن صحتها وبرده يسقط له ليل الكاشف عن صحة النصوص فلزم الأخذ به، ثم إن دلائل تلك النصوص ظنية جزئية بالمقارنة مع أدلة العقل البرهانية لذا نقدم العقل.

لـ المناقشة:

أولا: مقدمات حول العقل:

لـ العقل في اللغة:

أصل مادته مأخوذ من الحبس والمنع والإمساك، وسمي عقلا لأنه يعقل صاحبه أي يحجزه ويمنعه عن الوقوع في المهلكة.

لـ العقل في الاصطلاح:

يمكن رد معنى العقل إلى معنيين رئيسيين، فقال ابن القيم: العقل عقلان:

← عقل غريزي طبعي، هو أبو العلم ومربيه ومنميه ← عقل كسبي مستفاد، وهو ولد العلم وثمرته ونتيجته.

وقسمها شيخ الإسلام إلى أربعة معان:

1: علوم ضرورية يفرق بها بين المجنون الذي رفع عنه القلم وبين العاقل الذي جرى عليه القلم، فهذا مناط التكليف.

2: علوم مكتسبة تدعو الإنسان إلى فعل ما ينفعه وترك ما يضره

3: العمل بالعلم يدخل في مسمى العقل أيضا، بل هو من أخص ما يدخل في اسم العقل الممدوح.

4: الغريزة التي بها يعقل الإنسان.

لـ العقل في القرآن

← لفظ العقل ليس له وجود في القرآن، وإنما ما تصرف منه "يعقلون" "تعقلون" وفي القرآن الأسماء المتضمنة له: كاسم الحجر، النهى، الألباب..

← ومن المعاني التي جاءت بها تعاريف مفردة العقل في القرآن:

لـ فهم الكلام لـ عدم التناقض في العقل لـ اختيار النافع وترك الضار لـ استخلاص العبر الصحيحة من الحوادث

لـ فهم دلالات الآيات الكونية.

لـ المسألة الأولى: العقل جوهر أم عرض؟

الذي عليه أهل السنة والجماعة أن العقل عرض أو صفة وليس بجوهر خلافا لبعض المتكلمة والفلاسفة، فالعقل ليس شيئا قائما بذاته، وإنما هو صفة لا بد أن يقوم بغيره، وهو العاقل الموصوف به.

Scanned by CamScanner

لـ العقل محله القلب أم الدماغ: المسألة الثانية:

لـ حكى بعض أهل العلم اختلافهم على قولين:

1: أن محله القلب:

ونسب للمالكية والشافعية وعليه بعض الحنابلة وصححه الباجي واستدلوا ببعض آيي القرآن:

لـ "أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا..." فالأذن محل السمع، فيكون العقل محله القلب

لـ "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ"

2: أن محله الدماغ:

وهو قول منسوب للأحناف والحنابلة واستدلوا بأدلة منها:

أ: الحس والمشاهدة، فلو ضرب شخص على رأسه مثلا وهو محل الدماغ فقد يصيبه ضربة قوية فزال بها العقل.

ب: اللسان العربي، فالعرب تقول للعاقل وافر الدماغ ولضعيف العقل خفيف الدماغ. طالع كلام شيخ الإسلام وتلميذه ص 370

ثانيا: منزلة العقل في الخطاب الشرعي:

لـ الوقفة الأولى:

ثمة اختفاء شرعي به مع ضبط لمجالات العمل العقلي، فلا غلو في العقل ليكون الحجة المهيمنة على كافة الأدلة، ولا جفوة تلغي حجيته ووظيفته في الاستدلال

لـ الوقفة الثانية:

من مظاهر اختفاء الشريعة بالعقل:

1: أن العقل هو واحد من مناطات التكليف، ونقصه أو انعدامه له تأثير كبير في ثبوت وصف التكليف الشرعي، فمن لا عقل له لا تكليف عليه وفي الحديث "رفع القلم عن ثلاثة.... وعن المجنون حتى يعقل"

2: حث الله عز وجل على التعقل والتفكر والتدبر في آياته ومخلوقاته، وليس هناك كتاب أطلق سراح العقل واستثاره لأداء وظيفته كالقرآن

3: الانتفاع بالمواعظ والزجر والقصص والتشريع وأمثال القرآن مقصور على أصحاب العقول.

4: نعى الله على من أطفئوا نور عقولهم بتقليد غيرهم وبيّن مغبة ذلك.

5: للعقل وظيفة كبرى في استنباط الأحكام والنظر في الأدلة، وكلما كان العقل أكبر وأوفر كان المرء أقدر على أداء واجبات الاجتهاد.

6: جعل الشرع العقل واحدا من الضروريات الخمس التي جاء الإسلام للمحافظة عليها.

Scanned by CamScanner

ثالثا: مجالات العمل العقلي:

لا بالرغم من تكريم الإسلام للعقل، فقد حدد له مجالاته التي يخوض فيها حتى لا يضل، لأنه مهما اتسعت المدلكات العقلية فستبقى محدودة في قدراته وملكاته، ولن يستطيع إدراك الحقائق كلها وطالع كلام الشاطبي ص 373

لا فالغيبيات التي لا تقع تحت مدارك العقل لا مجال له أن يخوض فيها، ولا يخرج عما دلت عليه نصوص الشرع كمعرفة حقيقة صفات الله، وتفاصيل عالم الملائكة والجن والروح .... طالع كلام شيخ الإسلام ص 374

لا كذلك التوقف على تفاصيل التعبدات وإستيعابه وجه الحكمة فيها خارج عن حدود القدرة العقلية، فإذا عجز العقل عن تفاصيل الشريعة فهو أعجز عن إستخراج كيفيات للعبادة من عنده وطالع كلام الشاطبي ص 375

لا ينبغي التنبه إلى أن إدراك العقل لكثير من القضايا إدراك مجمل لا مفصل وقد يكون إدراكا بعضيا لا شموليا، وله القدرة على التحسين والتقبيح مع ملاحظة محدودية هذه القدرة من جهتين:

الأول:

أن قدرته محدودة لا تشمل كل شيء، فقد يعجز العقل عن تقييم حسن بعض الأشياء أو قبحها.

الثاني:

لا أنها ملكة لا تستنتج التكليف الشرعي ولا يترتب عليها الثواب والعقاب

ا معاد العقل بين الوحدة والاختلاف:

ليس شيئا واحدا يقع لكل الناس على وجه يتفقون فيه، بل هم يتفاوتون تفاوتا كبيرا في كثير من المعارف العقلية، فالعقل هو من الأمور النسبية الإضافية، وبالتالي فالعقل المطلق أو المثالي لا وجود له في الواقع وممن رصد حالة الاختلاف العقلي بين أرباب العقائد ابن القيم رحمه الله في غير ما موضع من كتابه الصواعق المرسلة: طالع ص 376

خامسا: سؤال التعارض بين العقل والنقل:

للإجابة على هذا السؤال ينبغي أن تتأسس المعطيات التالية في علاقة العقل بالنقل:

أولا:

العقل ليس أصيلا لثبوت الشرع، ولا معطيا له صفة لم تكن، ولا مفيدا له صفة كمال ولذا لا يمكن أن يكون تصديق الرسول فيما أخبر به معلقا بشرط، ولا موقوفا على انتفاء مانع بل لا بد من تصديقه في كل ما أخبر به تصديقا جازما كما في أصل الإيمان به

ثانيا:

العقل هو آلة استنباط من النقل، وهو يعمل في ضوء أصول وقواعد نقلية وعقلية ولغوية لضبط عملية الاستنباط، وضمان عدم انحرافها عن مسارها ووقوعها في الخطأ، والعقل في نهاية المطاف أداة قد تصيب وقد تخطئ.

Scanned by CamScanner

ثالثا:

أن العقل الصريح جاء بالدلالة على كثير مما دلّ عليه النقل، كإثبات وجود الله تبارك وتعالى وأن كل ماسواه فهو محدث مخلوق، ولذا كان من الأدوات العقلية في تقرير كثير من صفات الله تعالى قياس الأولى، مثل أن يقال: كل نقص ينزه عنه مخلوق من المخلوقات فالخالق تعالى أولى بتنزيهه عنه، وكل كمال مطلق ثبت لموجود من المخلوقات فالخالق تعالى أولى بثبوت الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

له الطريق إلى الحق السمع والعقل وهما متلازمان.

رابعا:

الأصل في المسائل الشرعية أن تكون مأخذها مبيّنة في النقل.

له إذا تعارض العقل والنقل على المسائل الشرعية فالعقل يتبع النقل، فلا يسرح العقل في مجال النظر إلا بقدر ما يسرحه النقل، فلو جاز تقديم العقل على النص الذي فهمه النقل، لم يكن لهذا الحد أي فائدة، وهذا في الشريعة باطل، وحتى ما تقدم العقل حدًا واحدًا، جاز له تقديم جميع الحدود وطالع كلام شيخ الإسلام ص 380.

خامسا:

قد يجيء النقل بأمر لا قول للعقل في إثباته أو نفيه، فإما أن يكون متوقفا أو محتارا، فمجرد التوقف والحيرة لا تبيح رد النقل كما هو ظاهر، وهذا يوضحه شيخ الإسلام رحمه الله ص 380

له هذه المشكلة ليست محدثة بل هي قديمة، ومن أحسن من أصّل هذه المسألة شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في "درء تعارض العقل والنقل"

إشكال لماذا ابن تيمية فقط؟

قائل هذا الكلام واقع في إشكاليات ثلاث

أ: عدم تصور طبائع العلوم ب: عدم تصور طبيعة فقه ابن تيمية ج: عدم تصور واقع الخطاب السلفي.

لم يمكن أن نعالج هذه الإشكاليات من خلال ما يلي:

١: ما ينبغي أن نعامله أن لكل علم وفن علمائه والمشتغلون في العلوم ليسوا على درجة واحدة.

له في التفسير مثلا نجد علمائه كالطبري وابن عاشور وفي الحديث ابن حجر والنووي وهكذا، وعلماء "العقيدة والفقه" هو شيخ الإسلام.

له شيخ الإسلام هو أعمق المتأخرين في تحقيق طريقة الصحابة في العقيدة والفقه وهذا اقرار وليس نتيجة، والحقيقة أن أحدا لم يقرر هذا بل هذه نتيجة لواقع فرض نفسه، وهذا يشبه تماما تقديم البخاري ومسلم في الحديث ٢: يؤكد ما سبق أن العالم ينبغي عند أهل السنة والجماعة تقدير تحقيقه لطريقة الصحابة، ومن تتبعهم بإحسان، وكتب المتأخرين في العقيدة والفقه تكشف بجلاء ابتعاد مسائل العلم عن فقه الصحابة والتابعين، واستفاد شيخ الإسلام من منهج نموذج الصحابة نصب عينيه أثناء تحليله للفروع واجتهاد المتأخرين ومن ذلك:

Scanned by CamScanner

لـ رفض نظرية تأويل الصفات المعقدة واحتج بأن الصحابة أعلم بالله ولم يتكلموا عنها.
لـ رفض تقسيماتهم المعقدة في علم اللغة كرفضه رفض تنويعاتهم في المياه وأعاده إلى فقه الصحابة
• طالع جملة من الأمثلة ص 384 - 385.

3: مايعرف عن شيخ الإسلام الإحاطة الضخمة بالمعارف النقلية والعقلية وحسن الفهم وأدوات الاجتهاد والدراية بمذاهب المخالفين

4: بلغنا قطعة طيبة من تراثه في شتى العلوم خصوصا العقيدة والفقه، فإذا قرنت بتميزه العلمي ومنهجيته اتضح أن استحضاره لكثير من التحريرات أمر طبيعي لا إشكال فيه.

5: تأثر الإمام محمد ابن عبد الوهاب بكتابات الشيخ طبع حضور ابن تيمية في الحركة العلمية التجديدية من بعده.

لـ نقد أصل الإشكال:

فكرة معارضة النقل بالعقل تقوم على أساسين اثنين:

← الأول: التوهين من دلالة النقل على المعاني والأحكام، في مقابل تقوية الدلالة العقلية

← الثاني: لزوم تقديم العقل على النقل في حال المعارضة، لأنه المخرج الوحيد الممكن مع إشكالية التعارض.

لـ الإشكالية الأولى:

← تقوم فكرة توهين النقل في مقابل العقل على فرضيتين:

لـ الأولى: دلالة النقل دلالة خبرية مجردة، وهي خالية من الدلائل العقلية.

لـ الثانية: الأدلة النقلية أدلة لفظية لا تفيد اليقين.

← أبدع ابن القيم رحمه الله في ضاحتة هذا في "الصواعق المرسلة" في أكثر من 73 وجها.

لـ إشكالية تجريد النقل عن الدليل العقلي:

← من الأوهام الخطيرة قول بعضهم أن الأدلة النقلية مجرد أخبار عارية عن دلائل العقل، وهذا قول يدل على عدم قراءة فاحصة للوحي، فالقرآن والسنة مليئان بالدلائل العقلية شديدة الوضوح سهلة الفهم
• طالع كلام شيخ الإسلام ص 388

لـ كتاب "الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد" د. سعود العريفي و "الدلالة العقلية في القرآن الكريم ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية" د. عبد الكريم حميدان يحتويان على جملة واسعة من دلائل العقل.

لـ أدلة الشرع تنقسم إلى:

← أدلة سمعية/خبرية ← أدلة عقلية وقوله تعالى: "وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ" ما يدل على اعتبار الدليلين في الميزان الشرعي. • طالع كلام ابن القيم في هذا التقسيم ص 389

Scanned by CamScanner

إشكالية تجريد الأدلة النقلية عن إفادة اليقين:

- ترتكز على دعوى أن الألفاظ موصل رديء للمعاني. طالع كلام عبد الجواد ياسين ص390.

وهذه الدعوى لها حضور في التراث الفلسفي الكلامي، ولكن يفارق في طبيعة التحرير والتدليل.

- دعواهم أن الألفاظ موصل رديء للمعاني، وأنه لا يمكن أن نطلع إلى ما ترمي إليه من معان حتى نستيقن من 10 أمور:

1: عصمة رواة الألفاظ 2: صحة إعرابها 3: صحة تحريفها، عدم الاشتراك، وعدم المجاز، وعدم النقل، عدم التخصيص بالأشخاص والأزمنة، عدم الإضمار، عدم التقديم والتأخير، عدم النسخ، عدم المعارض العقلي الذي لو كان موجودا لرجح على النقل.

- إعمال هذه الفكرة سيؤدي إلى نتائج كارثية لا على مستوى فهم الوحي فقط بل سيضرب في صميم فكرة التخاطب الشفهي الإنساني نحو ما سأبينه فيما يلي:

أ: هذا القول مؤداه في الحقيقة إلى إلغاء حجية الوحي بالكلية في حال وجود التعارض وفي عدمه، ومنه استيفاء المراد من كتاب الله عند هؤلاء محال، ويلزم من هذا أن يكون إنزال الوحي عبثا

ب: يلزم من كلامهم أن تكون جميع المخاطبات الشفاهية بين البشر غير موصلة إلى المعنى المراد بل هي أولى بذلك من الوحي، لقصورها عن منزلته في البيان والوضوح، فإذا وصلت الحال بالإنسان إلى التشكيك في دلائل كل لفظ وتركيب بدعوى احتمال عدم دلالتها على المراد فهذا نوع من السفسطة، وهو من جنس التشكيك في الحسيات بدعوى أن الحواس قد تخدعنا في بعض الأحيان، فإذا أنكرت الضروريات فلا سبيل إلى النظريات

- مما يبين وجه الفساد والسفسطة في هذا القول:

P: الإنسان مدني بطبعه وله طريقة خاصية ذاتية فيه، ولا بد في تعامله مع بني جنسه أن يفهموه ليحصل التعاون، وهي حاصلة في الواقع، فدل على أن وقوع الفهم بينهم واقع بلا شك

ب: مما تعلمه جميع الأمم معرفتهم بالمقاصد عند المخاطبة، وهذا ضروري اشترك بين الناس.

ج: بحكم أنهم يتحصلون على اليقين من مخاطبة بعضهم لبعض

د: الطفل أول ما يعرف مراد من يريده بلفظه قبل أن يعرف شيئاً من علومهم الضرورية وهذا فطري بدهي

هـ: التعريف بالأدلة اللفظية أصل للتعريف بالأدلة العقلية، فالشك في دلالة معاني الألفاظ ينسحب فيه القدح إلى المعاني العقلية

3: إذا نظرنا في شأن الوحي نجد أنه من البيان والوضوح في الغاية القصوى، وهو معنى متواتر في النص القرآني: قال الله: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا"، فمن زعم أن الوحي لا يفيد يقينا لعدم إمكان اليقين بالمعاني التي تقف خلف الألفاظ فقد ناقض دلائل القرآن المتواترة الدالة على بيانه، فإذا انضم إليه اليقين بحال نصح الشارع للناس وعدم وجود قصد الغموض أورث ذلك يقينا بالمعاني التي دلت عليها ألفاظ الوحي، والرسول بلّغ الوحي ومعانيه.

Scanned by CamScanner

4 لأ دلة لسمعية اللفظية مبنية في الحقيقة على مقدمتين معلومتين بالاضطرار:

P: أننا نقلها إلينا فهموا مراد المتكلم.

ب: أنهم نقلوا إلينا ذلك المراد كما نقلوا اللفظ الدال عليه.

له فالذين خُوطبوا بأسم الصلاة والزكاة وغيرهما يُعلم بالاضطرار أنهم قد فهموا مراد من خاطبهم بها، بل فهمهم للمراد أعظم من حفظهم لها، وهذا مما جرت عليه العادة، فإن كل من خاطب قوما فحرصه وحرصهم على معرفة مراده أعظم من حرصهم على مجرد حفظ ألفاظه؛ وإن كنا مقصودين فالمعنى أعظمها

5: أن في هذا لتزيم معارضة للمتواتر من شأن هذا الوحي، فإن من حكمة الله تعالى إنزال الكتب وإرسال الرسل لإقامة الحجة على العباد، وهو معنى متواتر في القرآن والسنة "وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ"

له التأسيس الثاني الذي تقوم عليه نظرية تقديم العقل على النقل: (القانون الكلي):

← إنهم تأسيسه والتقعيد له على يد الرازي ويقوم على مرتكزات ثلاث أساسية:

1: دعوى إمكان التعارض بين العقل والنقل

2: دعوى حصر الاحتمالات الممكنة فيما يُؤخذ به ويترك (العقل والنقل) في حال التعارض في 4 احتمالات:

P: يؤخذان جميعا، وهو محال لأنه جمع بين النقيضين

ب: يردان " " " " " "

ج: يقدم النقل على العقل، ولا يجوز لأن العقل أصل النقل، وبه عُرف صدق النقل، فلو قدم النقل لزم تكذيب العقل في صدق النقل فيبطل النقل والعقل معا.

د: تقديم العقل على النقل

3: دعوى لزوم تقديم العقل على النقل بتقديم التعارض، وهي ثمرة دعوى انحصار الاحتمالات في التعامل مع العقل والنقل عند التعارض في 4 احتمالات فقط

له ناقش شيخ الإسلام هذه الأسس في أغلب كتبه من خلال 44 وجها ردا على هذا التأسيس النظري، وخلاصة ما قرره شيخ الإسلام في نقض هذا القانون:

1: <u>إبطال فرض التعارض بين العقل والنقل:</u>

له وهو ما يتجلى صراحة من عنوان آخر مشهور للكتاب له، وسم بـ "بيان موافقة العقل الصريح للنقل الصحيح"

له الصحيح أن العقل لا يعارض النقل بل يوافقه، والعقل والنقل قد يكونان قطعيان أو ظنيان، فالمقصود بدعوى التعارض، هل هو تعارض القطعيان وهذا يجزم شيخ الإسلام باستحالة وقوعه طالع ص 397

و إذا وقع التعارض فالخلل في أحد الطرفين، إما أن العقل ليس صريحا بل شبهات عقلية باطلة، أو النقل ليس صريحا بل نقل ضعيف موضوع، وهو ما أكده شيخ الإسلام ص 398 وتلميذه ابن القيم

Scanned by CamScanner

2- إبطال انحصار الاحتمالات الممكنة في الاحتمالات الأربعة في حال التعارض:

أ- الأخذ بالعقل والنقل جميعا. ب- ردهما جميعا ج- تقديم النقل على العقل د- تقديم العقل على النقل

له الاحتمالات الواردة أوسع من أن تنحصر في هاته الأربع، وذلك عند استجلاب معامل التقطع والظن

لذا فرض الاحتمالات الممكنة أوسع من 4 وتصل إلى 16 احتمال طالع أصلها ص400 - 399.

له ليس المقصود بذكر هذه الاحتمالات ذكر المرجح منها في حال التعارض وإنما هو للتدليل على خطأ إطلاق القول بانحصار الاحتمالات الممكنة في 4 احتمالات فقط.

له رجح شيخ الإسلام أن المعول عليه هو في جملته (العقل والنقل) من جهة القطعية، وأن المرجح منهما هو القطعي منهما مطلقا. طالع تقريره ص400.

ب- إبطال دعوى لزوم تقديم العقل على النقل:

له انتهت هذه الدعوى على فكرة أن العقل أصل الشرع، فلما رددنا العقل بالشرع لكذبنا الشاهد الذي يشهد بصحة النقل

وإذا كذبناه لزمنا الطعن في النقل

له حتى نجيب عن هذه الإشكالية لابد من فك حالة الالتباس والإجمال في مسألتين:

له المسألة الأولى: معنى كون العقل أصل الشرع:

لهل معنى هذا الكلام: له أن العقل أصل في ثبوت النقل في نفس الأمر له العقل أصل في علمنا بصحة النقل.

← إذا كان المقصود الأول فلا مشاحة في بطلانه لأن كون الحق حقا والباطل باطلا أمر تابع لتصور العقل عنه، إذ هي معان مستقرة في نفسها قبل وجود العقل أصلا، فلا يقال: أن النقل لم يصر حقا في نفسه حتى ظهر للعقل أنه كذلك بل هو معنى ثابت للنقل قبل نظر العقل وعلمه. طالع كلام شيخ الإسلام ص402.

← أما إن كان المقصود أن العقل أصل النقل، فلابد من التفتيش في ماهية هذا العقل الذي دلنا على صحة النقل:

هل هي:

له القوة الغريزية التي تميز بها الإنسان عن الحيوان، له العلوم العقلية المستفادة من تلك الغريزة

له إذا كان المقصود الأول:

← فلم نرده، ولم يمنع أن نريده، لأن تلك الغريزة، ليست علما يتصور أن يعارض النقل، وهي شرط في كل علم عقلي أو سمعي كالحياة، وما كان شرطا في الشيء امتنع أن يكون منافيا له؛ فالحياة والغريزة شرط في كل العلوم سمعيها وعقليها.

له إن كان المقصود الثاني:

له العلوم العقلية المستفادة من تلك الغريزة، (وهي المعرفة الحاصلة بالعقل)، فيقال: إن المعارف العقلية ليست شيئا واحدا، بحيث إذا نفينا بعضها انتفت كلها، بل هي كثرة متنوعة قابلة للتفريق؛ وجزء من هذه المعارف فقط يدلنا على صحة النقل، وهذه لا مطعن فيها، وليست تعارض النقل أصلا، لأنها لازمة له. أما بقية المعارف التي لا تدلنا على صحة النقل فالطعن فيها ليس طعنا في المعارف التي دلتنا على صحة النقل، ولا يلزم من صحتها أن تصح بقية المعارف العقلية (التي لا تدل على صحة النقل)، بل منها الحق ومنها الباطل.

Scanned by CamScanner

له وأصل لإشكال أن صاحب هذا القول جعل العقليات كلها نوعا واحدا متماثلا في الصحة والفساد.

له ولو افترضنا تنازلا وقوع التعارض بين الشرع وبين ذلك المفهوم العقلي لدال على صحة النقل، فإن تقديم العقل حينئذ غير صحيح، فالعقل ما دام شاهدا ودليلا على صحة الشرع الذي هو الأصل فمن غير المعقول إطراح الأصل عند التعارض للمحافظة على الشاهد، بل الأقرب إلى الصواب في هذه الحال الافتراضية - الإبقاء على الشرع وإطراح العقل. فإننا لو قدمنا العقل وطرحنا الشرع لسقط العقل والشرع جميعا، لأن شهادة العقل على صحة النقل تكون حينئذ باطلة، فلا يكون صالحا للاستدلال. (ملخص كلام شيخ الإسلام ص 404 - 407 / ملخص هادي صبري)

السادس شيء من آلات المعارضة العقلية:

له ذكر المؤلف طرفا من أحوال بعض أساطين المعرفة الفلسفية الكلامية، المشتغلين بالتفتيش والتنقيب عن مذاهب الناس في المعقولات، ممن وقع في الحيرة بعد تجربة عقلية طويلة تؤكد على شرف الوحي، وذكر ابن أبي العز الحنفي رحمه الله طرفا منها في شرحه للعقيدة الطحاوية [242/1]

* المزلق السادس: مشكلة السنة غير التشريعية *

له بيان المزلق:

له قولهم من خلل المنهجي في مسألة اتباع السنة النبوية جعل كل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم وجبا لازم الاتباع، إذ ما يصدر عن النبي سنة تشريعية - غير تشريعية. فالتسوية بين النوعين في مسألة التسليم انحراف منهجي يخالف مقصد الشرع.

له هنا قضية

لمحة الجواب على هذا الاشكال من خلال:

أولا: الأصل فيما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم:

← من الأصول الشرعية المقررة أن الأصل في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته أنها صادرة عن الوحي، وموضوعة للتشريع، محل للتدبر، وهذا من أصول أهل السنة والجماعة. (طالع كلام الشافعي وشيخ الإسلام ص 414-415)

من الأدلة الشرعية الطبيعية الطبيعة السنة النبوية والمؤكدة لوجوب التسليم لها:

"وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ" قال القرطبي "وفيها دلالة على أن السنة كالوحي المنزل في العمل" (طالع المنصوص ص 415 - 417. طالع كلام ابن حزم ص 417).

- ومما يؤكد هذه الطبيعة للسنة النبوية معرفة الوظيفة المحورية لرسول الله، فهو فجاء من عند الله بتعليم الكتاب والحكمة وتزكية المؤمنين وصيانة المقتضيات النبوة والرسالة. فقد حماه الله تبارك وتعالى في شأن تبليغ الوحي مطلقا، ومن ما وقع منه خطأ فلا بد أن يأتي من الوحي ما يصحح الخطأ، ويكون الموقع الخطأ حكم رباني كالذي وقع عند سهوه في الصلاة وما ترتب عليها من بيان التشريعي.

Scanned by CamScanner

- الأمر بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم:
- قال الله عز وجل: "قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ"
- طاعة النبي من طاعة الله عز وجل ففي الحديث: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله"
- جاء الأمر المؤكد بالاستمساك بالسنة في الحديث "فعليكم بسنتي..."
- ترتيب الهداية والثواب على من أطاعه صلى الله عليه وسلم وترتيب الوعيد على من خالف أمره.
- نفي الخيار عن المؤمنين إذا صدر حكم عن رسول الله: "وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ...."
- الفرض عن سنة النبي واقع في النفاق: "وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول..."
- حرمة التقديم بين يدي سنته صلى الله عليه وسلم
- الأمر بالرد إلى الرسول عند التنازع.
- بيان طبيعة القدوة في شخص النبي صلى الله عليه وسلم والأمر باتباعه.

- ثانيا: تفاصيل في طبيعة التصرفات النبوية:
- الأصل في أقوال وأفعال وتقريرات النبي أنها حجة وتشكل مجموعها مفهوم السنة النبوية، ولفظة الأصل توحي بوجود الاستثناء وهو حق، فثمة أمور داخلة في مفهوم التصرف النبوي مما لم يقصد به التشريع ابتداءً وإن كان له اتصال به من وجه، فالتصرفات النبوية على أقسام منها:

- القسم الأول: التصرفات التشريعية:
- والتي يقصد بها البيان والتشريع والإيضاح كيفية امتثال الأحكام الشرعية، كأفعال الصلاة والحج وغيرها، فهذا القسم هو الذي يطلب اتباعه فيه، وقد يكون واجبا وقد يكون مستحبا.

- القسم الثاني: التصرفات الجبلية:
- كالقيام والقعود والأكل والشرب، فالرسول مع نبوته بشر، مما كان واقعا منه مقتضيات البشرية المحضة فليس مقصودا به التشريع ابتداءً، وليس محلا للتعبد، وإن كان يستفاد من تصرف النبي تأكيد الإباحة.

- القسم الثالث: التصرفات العادية:
- وهو صادر من النبي بمقتضى العادة كأحوال المأكل والمشرب؛ كأن يأكل الدباء، أو يلبس القطن أو ينام على الحصير ونحو ذلك. فهذه الأفعال تدل على الإباحة لا الاستحباب، لأن ذلك لم يقصد به التشريع ولم يتعبد به؛ وإذا ورد الأمر بشيء من الأمور العادية أو جاء الترغيب فيها أو وجدت قرينة تدل على قصد التشريع فتكون حينئذ تشريعية كلبس البياض للرجال.

- القسم الرابع: التصرفات الاجتهادية:
- سيأتي في الحديث عنها.

- القسم الخامس: التصرفات الخاصة به:
- وهي التي ثبت بالدليل اختصاصه بها كالجمع بين تسع نسوة والتبرك بآثاره، فهذا القسم يحرم التأسي به فيها لاختصاصه به صلى الله عليه وسلم

Scanned by CamScanner

لـ القسم السادس : التصرفات المجردة :

كخوارق العادات التي أجراها الله على يد نبيه سواء قُصِد بها التحدي أم لم يقصد، وليس ثمة مدخل للاقتداء بها.

ثالثا: إشكالية السنة التشريعية وغير التشريعية :

لـ من أعمق الإشكالات في التعاطي مع السنة النبوية الاتكاء على فكرة تقسيمها إلى سنة تشريعية - غير تشريعية.

ثم تقسيم الأخيرة على حساب التشريعية ليؤول الأمر بالبعض إلى تضييق مجال السنة النبوية في الشأن التعبدي دون بقية الأبواب الحياتية، وليكون هذا التقرير منشأ خطير للخطاب العلماني الذي يحاول الفصل بين الشأن الديني والدنيوي وأكثر الأحاديث حضورا هو: "أنتم أعلم بأمور دنياكم" حتى وضعه أحدهم على غلاف كتاب له في شأن السياسة "السياسة بين الحلال والحرام .... أنتم أعلم بشؤون دنياكم"، وهي محاولة لإيجاد سند شرعي لتكريس مبدأ الفصل بين الدين والدنيا.

لـ فتصحيح مفهوم السنة غير التشريعية تقوم على قضيتين أساسيتين بينهما قدر من التداخل:

← الأول:

كان النبي يمارس أدوارا متعددة فلم تكن تصرفاته تنطلق باعتباره نبي بل قد يتصرف بمقتضى البشرية كالقائد السياسي والعسكري والأب والزوج، مما كان صادرا منه بمقتضى النبوة فهو وحي يجب الأخذ به بخلاف الأدوار الحياتية الأخرى.

← الثاني:

ما كان يصدر عن النبي لم يكن صادرا بالضرورة عن وحي صارم، بل قد يكون باجتهاد منه، وهذا ما يجعلها عرضة للخطأ، وقد بين مرارا في نصوص عدة اجتهد فيها النبي صلى الله عليه وسلم فيأتي الوحي ببيان خطئه وبالتالي مما كان هذا سبيله من التصرفات لا يكون موضعا للتشريع

لـ أهم الإشكال: تحديد الموقف من طبيعة الاجتهادات النبوية وتحديد ما ينزل منها من أحكام وأين موقعها من الوحي ومن التشريع

لـ إذا تأمل المرء في كلام المعاصرين في موقفهم من هذه القضية سيرى عظيم الجناية التي مورست على السنة النبوية تحت ذريعة "السنة غير التشريعية" وهي جناية اتسمت بالتمدد مع مرور الأيام كإعفاء اللحية وتقصير الثياب ليتم إخراجها تحت ذريعة السنة غير التشريعية، ثم امتدت إلى أقوال النبي في أبواب الطب وتصبح مجرد محض تجربة بشرية محكومة بسبب قيامها البشري ثم انفرط العقد ليصل إلى تصرفات النبي السياسية

لـ للإجابة على هذه الإشكالات لابد من الإحاطة بالمعاني التالية

أولا: طبيعة الاجتهادات النبوية

لـ الحق أن مسألة وقوع الاجتهاد من النبي مسألة خلافية طويلة الذيول وخلاصة ما هنالك:

← أن ثمة من منعه مطلقا ← ثمة من أجازه في الشأن التعبدي ← ثمة من أجازه في الشأنين معا وهو الأظهر

Scanned by CamScanner

له ثم من أجاز الاجتهاد عليه صلى الله عليه وسلم أدخل اجتهاده في باب العصمة ومنهم من أخرجه عن حد العصمة ولكن منع من الإقرار عليه، فيكون معصوما فيه باعتبار المآل وهو ما عبّر عنه بعض الحنفية بالوحي الباطن

له طالع كلام الآل البنعمية ص 427 - 428.

له وا استخلص هذا يؤكد أن البحث الأصولي لا يساعد إطلاقا على جعل مسألة الاجتهاد النبوي منشأ لتوسيع مطيعة السنة غير التشريعية، إذ أوسع الأقوال الأصولية يمنع من الإقرار بالخطأ ويؤكد على أن الوحي سيعقب ذلك بتأييد أو سكوت أو تخطئة. طالع المثال الذي ذكره المؤلف ص 428-429 وطالع توجيه القرطبي لهذه القصة ص 429 - 430.

ثانيا: الأصل في التصرف النبوي صدوره عنه باعتبارات النبوة:

له سبق ذكر بعض الدلائل الشرعية لهذه القاعدة "وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ"

له وكان الصحابة يتعاملون مع النبي على هذا الأساس إلا إذا أوقرينة تدل على خلاف ذلك فإنهم يستفصلون ويسألون كحادثة تأبير النخل وقصة بريرة وغيرها.

ثالثا: طبيعة الاجتهاد النبوي مقارنا باجتهاد غيره:

له ليس من الصحيح التقليل من شأن الاجتهاد النبوية وتسويتها باجتهاد غيره فالنبي أعلم وأعقل وأورع ممن دونه يقينا، فما كان صادرا منه من اجتهاد ناشئة عن نظر واستنباط فالأصل أنه مصيب فيها ابتداءً ولا يصح الخروج عن هذا الأصل إلا بدليل بيّن، أما إن كان متصلا بشؤون الحياة فاجتهاده فيها معتبر إذ الأصل أنه لا يتكلم إلا عن معرفة وعلم مع إمكان خطئه. طالع كلام ابن حزم ص 433 والقاضي عياض

رابعا: "أنتم أعلم بأمور دنياكم":

له من أكثر الأحاديث رواجا عند العلمانيين حديث تأبير النخل، وهم لا يؤسسون الحكم الاستدلال تأسيسيا بقدر ما هي ممارسة براغماتية تصدر للخطاب العلماني بأدوات شرعية. طالع كلام الإمام أحمد شاكر ص 435. وحديث تأبير النخل ص 436.

له مناقشة هذا الحديث:

1: التوسع في رد السنة مخالف لأهل العلم وفهمهم لهذا الحديث

2: الأمور التي يقال فيها "أنتم أعلم بأمور دنياكم" هي تلك الأمور التي لم تتناولها الأدلة الشرعية تناولا عاما أو خاصا.

3: إذا تناولت الشريعة مسألة من المسائل فالأصل فيها التشريع، ولو كان أمرا من أمور الدنيا، والأدلة الشرعية على ذلك كثيرة، ويؤيده نظر الصحابة الجلي واعتبارهم أن الأصل في أوامر النبي أنها للتشريع كما في هذه الحادثة أحاديث صبر

4: التأمل في الحديث يبين جليا أن قرائن في الحديث تفيد خروجه عن دائرة التشريع، فلا يصح أن نجعل أصلا لنزول الجانب التشريعي عن مجالات الحياة، والذين لم يفهموا عن التلقيح وإنما هو غلطوا في فهمهم أنه نهاهم كما قال شيخ الإسلام

Scanned by CamScanner

لـ خامسا: أنموذج تطبيقي في شأن السنة السياسية:

لـ من التطبيقات العملية السياسية التي تبين تدخلين العلمانيين لهذا الحديث لإخراج أفعال النبي السياسية من دائرة التشريع، تأسيسهم لفكرة التمييز بين مقام النبوة ومقام الرئاسة ليصلوا أن الأفعال السياسة للنبي لا يراد بها التشريع، وإنما هي إجتهادات لها سياق معين، وخطورة هذه الفكرة في أنها تلقى رواجا عند بعض الإسلاميين الراغبين في الحكم في ظل النظام العلماني.

لـ من أشهر وأسهل الكتب في هذا الكتاب "الدين والسياسة تمييز لا فصل" ل.د: سعد الدين العثماني وأهم ما سجلته من ملاحظات عن الكتاب ما يلي:

لـ تقديمه للعلمانية بمفاهيم أصولية، فأخطر ما في الكتاب أنه يحدث لبسة بين الإسلام والعلمانية.

ففي العلاقة بين الدين والسياسة هناك مستويان من التشريعية الملزمة:

← القيم العامة: كالصدق والوفاء، ولا مشكلة فيها عند العلمانيين.

← الأحكام التفصيلية: كالحدود وتحريم الربا، ومشكلتهم مع هذا المستوى أنهم يريدون رفع الإلزامية التشريعية القانونية للنصوص الوحي (فصل الدين عن الدولة).

أما الإسلاميون فيرون وجوب هيمنة الأحكام التشريعية على النظام السياسي، فما ورد فيه نص ألزموا به، وما لم يرد فيه نص مجال له للاجتهاد ومراعاة المصالح.

لـ الدكتور العثماني لا مشكل معه مع جانب الأخلاق وأما مستوى الأحكام التفصيلية فإنه يخرجها من دائرة الإلزام وإذا دخلت فإنما بالإرادة الشعبية وهذا الطرح يتقاطع بشكل كبير مع العلمانية.

لـ يذهب الدكتور إلى أن السنة لا تفيد تشريعا في مجال السياسة إلا فيما يسميه بالمنهج أو الإطار العام، ويتكئ في هذا على كلام الإمام القرافي والحق أن القرافي لم يرد أبدا ما قاله العثماني لما اعتبارين:

أ: لم يقصد القرافي من تمييزه بين مقامات النبي أن بعضها يفيد التشريع وبعضها لا يفيد.

ب: القرافي لا يخرج "التصرفات السياسية" من التشريع مطلقا وإنما يجعلها مختصة بالإمام دون غيره.

لـ العثماني جعل مستند التصرف السياسي هو المصلحة الراجحة أو الغالبة فقط، في حين أن التصرف السياسي قد يؤخذ من الجبلة والنفس كذلك

لـ استعمال العثماني بعض المصطلحات المجملة التي تحمل في طياتها معاني علمانية كالدولة المدنية والقانون المدني ... وقد استعملها عدة أن كصيغ مقبولة في النظام الإسلامي (الفقرة 5 عن هادي مهري. بتصرف)

Scanned by CamScanner

* المزلق السابع: مشكلة السؤال والاستشكال *

المزلق:

← مناقشة الأحكام الشرعية بل والاستشكال لها لا ينافض مبدأ التسليم بها، فالصحابة كانوا ينا قشون الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم ويوردون الاستشكال لأنهم بين يديه، فليس من حقكم فقه هذا باب يفضل التسليم فتطالبون التسليم لنصوص غير مفهومة، وكيف نحكم على المرء بالانقياد لما لا يستطيع فهمه ناهيك عن العمل به وتطبيقه.

المناقشة:

← هذا الاعتراض لا يخلو من قدر من الإجمال مما أدى إلى حالة ارتباك والتباس في تقييم تساؤلات الصحابة، وتفكيك هذا الإجمال يبين بواعث الصحابة وبواعث من يتخذ هذا الاستشكال لهدم النصوص ويتضح هذا فيما يلي:

أولا: طبيعة استشكالات الصحابة.

← استشكالات الصحابة حيال النصوص الشرعية على درجات:

← استشكالات تتضمن في طياتها مبدأ التسليم للنص الذي كان مبعث التساؤل:

← مثل ما أخبرني عن مكوث الدجال 40 يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم، فقالوا له مستشكلين: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال لا اقدروا له قدره. فهذا اللون يتضمن الإقرار ابتداءً بالمعنى العقدي الذي تضمنه الحديث، وإنما وقع الاستشكال على مسألة فقهية عملية بعد أداء واجب التسليم النص.

← استشكالات تتضمن قدرا من التسليم وتتطلب تكميله:

كسؤال أم المؤمنين عائشة عن قوله تعالى "فسوف يحاسب حسابا يسيرا" فقال ذلك العرض.

ومبدأ الاستشكال في الحقيقة ناشئ عن إقامة مبدأ التسليم لا عن هدمه، والمسلم حال توهم التعارض بين دلالات النصوص فإما:

← أن يسلم لواحد منها، ولا يسلم للآخر.

← يسلم لها جميعا مع بقاء وهم التعارض.

← " " " بعد ارتفاع " ".

← الواجب تحصيل المقام الثالث حسب الوسع والطاقة.

← استشكالات يراد منها التأكد من دلالة النص وتثبيته:

كسؤال أم المؤمنين عائشة عندما حشروا قالت: يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض فقال: الأمر أشد من أن يهمهم ذاك.

Scanned by CamScanner

إشكالات ترتب عليها الاستدراك على بعض الأخبار:

وهذا اللون هو أصح الألوان بأصل الإشكال وله أمثلة متعددة كاستدراك أم المؤمنين عائشة على غيرها من الصحابة ورجحت في بعض المؤلفات ومن أمثلة هذه الاستدراكات: تعذيب الميت ببكاء أهله عليه

وقطع المرأة للصلاة

والمقصود من هذا عدم اتخاذ مثل هذه الشواهد ذرائع إلى رد النصوص، وبعد التأمل في هذه الممارسات نلاحظ مايلي:

← الذي أوجب هذا الاستدراك ترجيح رواية في مقابل أخرى.

← قد ينشأ كذلك الأمر أكثر بتعضيد ظاهر القرآن لموقف المستدرك

← فجماع الأمر أن المسألة من قبيل المتون "فقد يختلفون" ومسالك "الجمع والترجيح" بين الأدلة وله منهجيته العلمية المنضبطة. طالع كلام الإمام الشافعي ص 452.

ثانيا: مراعاة بواعث الاستشكال:

فرق بين من يورد الإشكال منطلقا بالنص طالبا الانقياد له ومن يستشكل معترضا للنص وعارضا الصحابة خالية من الاعتراض أصلا

* الخلق الثامن: مشكلة تزكية النفس *

بيان الخلق:

كلامكم في مبدأ التسليم وفقه كالمنارة على منهجكم ثم ادعاؤكم الالتزام به والسير عليه متضمن تزكية لذواتكم وهو محظور وقد قال الله: "فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ"

المناقشة:

- هذه الإشكالية ليست استشكالا متوجها للنص ابتداءً أو إلى مبدأ التسليم بقدر ما هو محاولة لتشويه حملة الخطاب السلفي بادعاء أنهم يمارسون نوعا من تزكية النفس والوصاية على النص

- إذا كان هناك تحفظ على بعض التفاصيل من التسليم في الخاطة السلفية فلا يصح إطلاقا أن يكون ذلك تحفظ على المبدأ ذاته، فالمسألة عبادة وقربى وتحقيق لمعلم من معالم ديانة الإسلام.

الخميس 2017/08/03

تمت بحمد الله

Scanned by CamScanner